قواعد الإيمان
من
بين يدي القرآن

هوية الكتاب

اسم الكتاب: قواعد الايمان من بين يدي القرآن

المؤلف: الشيخ منتظر الخفاجي

طباعة: DB UK 00961 3 336218
info@dboukart.com

سنة الطبع: ٢٠١٧

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الايداع في دار الكتاب والوثائق ببغداد ٨٣٤ لسنة ٢٠١٧

قواعد الإيمان

من بين يدي القرآن

المربي
سماحة الشيخ
منتظر الخفاجي

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أسوة الخلق وقدوة المرسلين سيدنا محمد وآله الطاهرين.

المقدمة

أردنا لهذا الكتاب ان يكون أساساً ومنطلقاً لعلم الايمان الخاص، وأعني به الايمان التصاعدي بالله جل جلاله؛ وذلك من خلال إيجاد ثوابت وروابط لتأسيس علاقة تصاعدية صحيحة ونقية بالجهة العليا، فوضعنا قواعد كلية لبعض حقول الايمان تشيَّد في ساحة العلاقة مع جهة الحق جل جلاله لكل من أراد صلة مبنية على ثوابت غير مؤدية الى الانحراف مهما طالت فترة المسير والتقدم ومهما تغيرت الأحوال.

لذلك عملنا على ان تكون هذه القواعد مُستلة من كلام الحق نفسه والتي اودعها في كتابه العزيز، وهو المصدر الاصدق

والاوثق والذي اشتمل على قواعد مبادئ تنظم كل جوانب حياة الانسان.

فكان عملنا في هذا السفرِ هو استخراج بعض الآيات المشتملة على قواعد ايمانية محكمة وواضحة ولا تقبل الترديد، وجعلنا منها المَدارك لتلك القواعد، ثم بينا مفهوم الآية وما تشير اليه في ظاهرها من الجهة الايمانية التي حملتها في طياتها، وربما خطونا قدماً واحدة في فهم الآيات المدركية وخرجنا عن الفهم المحدود المتبع لدى أهل التفسير، وهذا ما اقتضاه الحال بما اننا نتحرى الفهم الموصل الى العمل والتطبيق وليس الفهم النظري المجرد، وهو شيء من الانصاف بحق هذه الآيات. وكنت أتمنى ان اخطو أكثر من قدم واحدة في فهم هذه الآيات، خاصة وان كل آيات الكتاب العزيز حوت على مراتب عديدة من العطاء الايماني، لكنّ مستوى المجتمع الايماني حال دون ذلك.

ثم بعد المفهوم تأتي مرتبة التطبيق. فبما ان الطالب لزيادة ايمانه يتحرى بعد الفهم تطبيق ما فهمه وانزاله من الحيز المعرفي الى الحيز التطبيقي، فقد عمدنا الى إيجاد منهجاً تطبيقياً يرتقي بمن عمل به الى مرتبة التعامل الفعلي في ساحة الحق.

وجعلنا من أسلوب بيانه اسلوباً واضحاً وبسيطاً لكي يتسنى لطالب الايمان سهولة التطبيق، ولا نستهلك ارادته وعزيمته بمحاولة فهم العبارات انما نريد توفير هذه الإرادة الى مرتبة العمل بعد القراءة، وهذا ربما على خلاف الكتب والرسائل العملية والتي ترهق القارئ وتستنزف عزيمته واردته بمحاولة فهم مصطلحاتها وفك رموزها.

وأيضا حاولنا في هذا السِفر ان نجعل منه وسيلة لفتح باب القلب قبل العمل بما جاء فيه، فقد اضفنا له شيئاً من عالم القلب، وذلك إنّا مزجنا أسلوبه الاستدلالي البسيط ببعض النفحات القلبية المسموح بها لأجل التهيئة العملية، وان كانت غير ظاهرة لمن يقرأه بعقله انما يتذوقها أصحاب القلوب.

اذن هذا الكتاب هو محاولة لاستخراج وتنظيم المفاهيم الايمانية الخاصة بقواعد ومنهاج تجعل منها بداية لولادة علم مستقل بحدوده وهو علم الايمان.

تمهيد

مما أوجب الله تعالى من الايمان به وبرسله وكتبه واليوم الآخر، وإرساله للرسل والأنبياء والمحدَثين لأجل ذلك، ليس سببه أنّ الله جلّ ذكره يُحب ذلك أو أنه محتاج إليه، حاشا وكلا، وليس الإيمان بهذه العناوين هو مفتاح لباب كرمه! بمعنى أن عدم الإيمان بها يوقف كرم الله تعالى! كلا، كرم الله أوسع من ذلك ولا يتحكم به شيء غير الإرادة الإلهية ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[1] فكرمه تعالى لا يحتاج إلى معرفته ونكران إرادته لا يوقف كرمه، فليس مسالة وجوب الإيمان بما أراد الله تعالى لأجل حصول الإنسان على النعيم سواء الدنيوي أو الأخروي فحسب، بل لو نظرنا إلى القدرة الكبيرة والغريبة والإمكانيات والاستعدادات التي وهبها الله تعالى للإنسان والتي من المحال أن لا يكون لوجودها غاية نجزم بأن المراد من الإنسان شيء كبير، ولا يقتصر على المفردات البسيطة للإيمان أو ما توحي

(١) سورة الاسراء اية (٢٠).

به من أفعال عبادية وأخلاقية، نجزم عندما نرى القابلية على التغيير سواء الداخلي أو الخارجي بل الدافع للتغيير وعدم القناعة بأي شيء، المؤدي إلى عدم التوقف في مستوى واحد نجزم حينئذٍ أن وراءه شيء عظيم، لكن الوصول إلى هذا الشيء العظيم، الوصول إلى غاية وجود الإنسان والاتصاف بالصفات الحقة لا يكون كل ذلك إلا عن طريق الإيمان بتلك المفاهيم البسيطة من الإيمان بالله وصفاته وأفعاله، وبرسله وكتبه وسلطانه، هي ما جعلها الله مفاتيح حكمته، مفاتيح أبواب رحمته، فإن الإيمان بها وأداء ملازماتها من الأفعال العبادية والتي هي تثبيت لذلك الإيمان في القلب يجعلها داعية وموجبة لما هو أعمق منها وأسمى في طريق الإيمان أو طريق الغاية.

وليس الإيمان بها؛ لأن النظام الإلهي متوقف عليها! بل إيمان الإنسان وعدمه لا يشكل أي فرق بالنسبة لله تعالى، لكن الإرادة الإلهية تعلقت بتشريف الإنسان بالقرب من الحق جلّ جلاله، ثم كانت قابلية الإنسان للاكتساب حسب الخلقة لا تثمر إلا عن طريق هذا الإيمان أي الإيمان بهذه المعتقدات، فهي ليست غاية الكمال، لكن كما ذكرنا هي مفاتيح أبواب التكميل، لذلك توصل إلى أبواب متسلسلة من مدارج الإيمان، فكلما آمن

الإنسان بمفهوم قربوي معين فُتح له مفهوم جديد وليس من توقف البتة.

وكتابنا هذا الموسوم بقواعد الإيمان هو بيان بعض الأسس التي أرساها الحق تعالى في طريق الإيمان وبينها في كتابه العظيم لمن أراد أن يقوي إيمانه بالحق تعالى ويزيد من يقينه بالمفاهيم المعنوية ويفعّل معتقداته من التسليم والتوكل وحسن الظن وغيرها؛ إذ من المفترض أن ضآلة المؤمن هي زيادة إيمانه فيكون دائم السعي والبحث للحصول على أي شيء يكون سببا في تقوية إيمانه وتقريبه من غايته التي وجد من اجلها.

فينبغي أن ينظر القارئ إلى هذا الكتاب على أنه كتاب عمل لا كتاب علم، أن يعتبره خطوة على طريق الإيمان فالواجب على من يقرأه أن يتوخى زيادة إيمانه سواء الفعلي أو ألاعتقادي ولو بمقدار حبة خردل، وليس المتوقع أن يجعل منه القارئ معلومة ويحشرها في زاوية من زوايا عقلة.

هذا، ونسأل القريب المجيب أن يجعل في هذه الوريقات شيئاً من الفائدة لعباده إذ لا فائدة إلا منه سبحانه إنه كريم قريب.

الغني بربه منتظر

قاعدة الذكر

المدرك: قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[1].

المفهوم: إن ظاهر الآية صريح وغني عن التفسير والتأويل، فإن من القواعد التي ثبتها الحق تعالى وجعلها عروة يستمسك بها كل من أراد العطاء الإلهي، ودرجة يرتقيها كل من أراد التصاعد في سبيل التكميل الإيماني، هي قاعدة الذكر. وجوهرها التلازم الذي لازمه الحق تعالى بين ذكر العبد له وذكره للعبد، فمن خلالها يبين لنا أن من أراد أن يذكره الله تعالى في أي موطن شاء فعليه أن يذكر الله في ذلك الموطن وهذا من الرحمة النابعة من العدل في اللطف.

التطبيق: اعلم إن ذكر الإنسان لربه له مراتب متعددة وكذا هو ذكر الرب لعبده، وعلى مقدار ذكر العبد يكون ذكر الرب، علماً أن ذكر الرب ابتدائي أي اسبق من ذكر العبد بل يُبنى

(١) سورة البقرة / آية ١٥٢.

عليه ذكر العبد قال الإمام السجاد عليه السلام: «**أنت الذاكر قبل الذاكرين**»[1] ولكنه بجلال كرمه أسقط الأول وجعل ذكر العبد هو الابتدائي عطاءً منه سبحانه، والذكر الإلهي الابتدائي يتمثل بإيجاد القابلية للذكر والتحبيب به وبيان مواطنه وملائمته مع التسامي الروحي.

وذكر العبد لربه تارة بالعبادة وتارة بالتسبيح وأخرى بالعمل بالمستحبات أو ما ينوي به ذكره تعالى وان كان غير المنصوص وكذلك ذكره عند البلاء وعند الشبهات وذكره في مجالس العلم والوعظ وذكره بالتفكر والتدبر وذكره بالخاطر القلبي وذكره بتقديم العجز في ساحته وذكره بنسبة فعله إليه ورؤية أياديه حين العطاء وحين البلاء، وغيرها من مواطن الذكر وكل بحسب مرتبته وقابليته، ومراتب الذكر تكاد تكون لا نهائية لان كل مرتبة بعد تحققها تستدعي التي تليها قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله الفرائض فمن أداهنّ فهو حدهنّ إلا الذكر فان الله عز وجل لم يرضَ منه بالقليل**»[2].

---

(١) دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

(٢) الكافي / الجزء ٢ / ص ٤٩٨ /١.

وأما النتيجة وهي ذكر الله جل جلاله لمن ذكره فتكون اكبر من المقدمة قطعاً لان المذكور أعظم من الذاكر فيكون ذكره أعظم من ذكر ذاكره، فتارة يجزي بالثواب وأخرى بدفع أو رفع بلاء وأخرى بزيادة الرزق المادي أو شفاء من علة وتارة برفع الدرجة بسلّم الإيمان وأخرى بذكره في الملأ الأعلى، قال الإمام الصادق عليه السلام، قال الله تعالى: «**ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في الخلاء أذكرك في خلاء، ابن آدم اذكرني في ملأٍ أذكرك في ملأٍ خيرٍ من ملأك**»[1] ومرة يكون ذكره لعبده بإزالة الحجب عن قلبه وفتح بصيرته، وأخرى بإزالة رذائل الأخلاق ودنو الصفات وكذلك بإنزال المعرفة على قلبه وتارة بملازمة ذكر الله لقلب عبده وغيرها مما لا يحصى، وكما قلنا على مستوى ذكر العبد لربه يكون مستوى ذكر الرب لعبده فكلما تصاعد ذكر الإنسان تصاعد ذكر الحق تعالى له وكلما كثر ذكر الإنسان كثر ذكر الحق له.

واعلم: إن تعميق الذكر والرفع من مستواه يعتمد على طهارة القلب المبتني على خلوص النية حين الذكر من الشوائب الدخيلة على مستوى الذكر والتي تؤدي بدورها إلى تدني الذكر وبالتالي إلى

(١) ميزان الحكمة / باب الذكر / الحديث ٣٦٨٧.

تدني مستوى الجزاء، فليس المعول عليه كثرة الذكر وإنما مستوى خلوص الذكر ومستوى تجرد الذاكر من الشرك الخفي والمصلحة الخاصة فإذا بلغ درجة خلوص معتدٍ بها يؤهل إلى كثرة الذكر، وإنْ كان ذكر العبد أكثر إخلاصاً كان ذكر الحق تعالى أعظم وأبلغ.

وأما بالنسبة للجانب المقابل: هو أن يذكر العبد ربه بالسوء كالاعتراض عليه والجزع من أمره، حينئذٍ يستحق العبد أن يذكره الله تعالى بما يسوءه سواء بزيادة بلاء المعترض له أم تمحيصه حين الجزع أو غيره مما يراه هو جل جلاله مناسبا، وهذا هو مضمون القاعدة فمن ذكرني بالشكر ذكرته بالشكر ومن ذكرني بالكفر ذكرته بالكفر ـ أي من جحدني جحدته سلبت منه عطائي أو منعته. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: قل للجبارين لا يذكروني، فإنه لا يذكرني عبد إلا ذكرته، وان ذكروني ذكرتهم فلعنتهم**»[1].

وكلما كان ذكر العبد لله تعالى في مواطن الصعوبات كان الذكر الإلهي للعبد أعظم وأكمل، وليس المقصود من الصعوبات هي البلاء والعسر وإنما هي أوقات الغفلات سواء أكانت في اليسر أو العسر.

---

(١) ميزان الحكمة / باب الذكر / حديث٦٣٦٩.

وذكر الله تعالى مطلوب على كل حال وقد أعطاه الله تعالى من المساحة الكبرى فلم يقيده بحال دون حال أو مكان دون مكان، ومما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: قال موسى عليه السلام: **«يا رب إني أكون في حالٍ أجِلُّكَ أن أذكرك فيه. قال: يا موسى اذكرني على كل حال»**[1].

(١) ميزان الحكمة / باب الذكر / الحديث ٦٣٦٩.

قاعدة التغيير

المدرك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[1].

المفهوم : إن وراء كل الأسباب هو مسبب الأسباب جل جلاله فكل ما تحرك وسكن هو بإذنه تعالى، تارة بمباركته وأخرى بدونها، فالبائن من مدرك القاعدة إن المغير هو الله سبحانه وتعالى، أي إن كل ما يحصل للإنسان من تغير أو تحويل إنما هو بأمر الله تعالى، نعم المسبب هو الإنسان بأفعاله، والتغيير الإلهي الذي يحصل للإنسان يكون السبب فيه هو نفس الإنسان بالصادر منه سواء فعل أو قول أو معتقد، وبما إن الله تعالى غني ولا يصل إليه النفع فلا فرق عنده بين حالة وأخرى إنما يشكل الفرق لدى الإنسان كما قال جل وعلا: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ﴾[2] فيعطي

(١) سورة الرعد / اية ١١.

(٢) سورة ال عمران / اية ١٤٥.

من كلا الثوابين ولا يفرق عنده هذا العطاء عن ذاك فكلٌ من عند الله سواء ثواب الدنيا أو ثواب الآخرة.

والمتحكم أو قل المتسبب بزوال هذا العطاء أو تثبيته أو تغيره هو الإنسان سواء شاءه عطاءاً دنيوياً أم أخروياً فليس من ضُرٍ ولا نفعٍ يصل إلى الله تعالى لهذا فتح الحق تعالى باب التغيير وجعله ضمن النظام العام.

التطبيق: بما إننا عرفنا من الآية أن الإنسان قابل للتغيير بما أعطته الآية من وسع . وهذا التغيير تارة يكون بأفعاله وتارة بصفاته وأخرى بذاته وما اتصل بها، وان الإرادة الإلهية تتأثر بالإرادة الإنسانية، فبه يكون الإنسان قادراً على تغيير حظوظه الدنيوية والأخروية المعنوية والمادية، والحق تعالى اوجب على نظامه التساوق بالتغيير مع التغيير الإنساني وكله يصب في صالح النظام العام.

والتغيير لما في نفس الإنسان المؤدي إلى التغيير العام يكون من جهتين:

الجهة الأولى: هو التغيير النفسي نحو الصعود أو التغيير النفسي المؤدي إلى الصعود في درجات الإيمان والقرب.

بما إن الإنسان عبارة عن المستوى الإيماني الذي وصل إليه، فيكون تغيير ما في النفوس ناتج من تغيير المستوى الإيماني والكمالي لدى الإنسان.

واعلم إن تغيير المستوى بالانتقال إلى ما هو أعلى منه ينتج تغيراً في كل جوانب الإنسان؛ لانّ الصعود أو النزول هما كليان، فعندما يسبب الإنسان سببا لتجاوز مستواه الحاضر تتغير كل حظوظه سواء الدنيوية أو الأخروية فيتغير مستواه الفكري ومستواه الإيماني ومستواه النفسي وكذلك المستوى الاجتماعي والمعيشي وغيره من الجوانب الإنسانية. وهذا المستوى الجديد هو نتيجة الخروج وعدم التوقف أو عدم القناعة بالمستوى السابق، فيكون تغيير الإنسان لبعض صفاته النفسية داعية لنزول التغيير الإلهي بكامل جوانبه وبالتالي لكل حظوظه، وعلى أساس حجم التغيير النفسي وعمقه يتغير الرزق الإلهي المادي والمعنوي بجهتيه أي جهتي السلب والعطاء.

وليس كل فعل يأتي به الإنسان يُعد تغيراً أو مقدمة للتغيير بل الأفعال التي تنبع من آخر ما وصل إليه والتي تكون داعية للتغيير الداخلي، لأن بعض الأفعال التي يقوم بها الإنسان هي ما دون مستواه الحقيقي أو أنها لا تمثل أخر ما وصل إليه.

ومن مسببات التغيير نحو الصعود أمران:

الأول: هي الأفعال وكما قلنا التي تكون ذات أثر داخلي أي تؤثر في نفس الإنسان وهي التي تمثل مستواه فتكون مغيرة تغييراً غير مباشر في النفس.

الثاني: هي الصفات. والصفات هي جوهر النفس فالتغيير بها هو تغيير مباشر للنفس وداعية حقيقية للتغيير الإلهي. فعندما يغير الفرد صفة رذيلة في نفسه ويبدلها بصفة خيرة يكون قد خرج عن ذلك المستوى ونظامه.

الجهة الثانية: هو التغيير النفسي عند النزول في سلم الإيمان، فان الإنسان إذا غير شيء من أفعاله أو صفاته من العلو إلى الدنو يكون هذا التغيير داعية أو هو طلب بلسان الفعل للتغيير الشامل فتستجيب الإرادة الإلهية لهذا الطلب فيكون التغيير، وواقع التغيير هو تغيير في النظام فينزل من النظام السابق والذي كان مساوقاً ومساوياً لأفعاله السابقة إلى نظام أدنى يساوق ويساوي أفعاله اللاحقة قال جل ذكره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[1] فالظاهر من الآية

(١) سورة الانفال / اية ٥٣.

المقدسة إنَّ تغيير الإنسان بعض صفاته الإيمانية أو معتقداته أو أفعاله، يعتبر طلباً للتغيير العام بل هو دعاء لطلب نزول المستوى الإيماني و(إن الله سميع عليم) أي سميع لذلك الدعاء فيكون تغيراً للنعمة أو سبباً لنزولها سواء النعمة المتمثلة بالرزق المادي أو ما هو أعلى من ذلك.

ومن اللطيف المخيف أن الإنسان يرى ذلك، يرى تبدل نعمته وتعسر حاله ولكنه لا ينسبها إلى نفسه وما احدث فيها من التغيير السلبي إنما ينسبها إلى أسباب واهية أو ينسبها على أعلى تقدير إلى الله تعالى لكنه يغفل من أن الله تعالى استجاب للتغيير الذي هو أحدثه في نفسه، كل ما في الأمر إن النعم التي كنت تتنعم بها هي عطاء من عند الله بسبب ما أحدثته من تغيير إيماني تصاعدي، ثم انك بدلت هذا التغيير بالذي هو أدنى فسُلبت النعمة ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

أي نعمة كانت إذا بدلها الإنسان بكفرها أو عدم نسبتها إلى المنعم الحقيقي أو استخدمها فيما يبعد عن الله تعالى فإن الله تعالى سوف يعقب هذا التبديل بعاقبة شديدة، عسيرة واقلها زوال تلك النعمة.

---

(١) سورة البقرة / اية ٢١١.

ويتضح لنا مما تقدم إن هذه القاعدة هي ضمن أسس النظام العام فلا تبدل أو تغير ما دام النظام قائماً.

وعليه يجب على الإنسان الذي يريد أن يغير مستواه الإيماني ويزيد في حظوظه لكي يستمر في التصاعد أن يعمد إلى التغيير النفسي وذلك بالتجرد من بعض صفاتها.

قاعدة اليُسر

المدرك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

المفهوم: إن من الملازمات التي أفاضها الحق تعالى برحمته على صفاته هي ملازمة اليُسر مع العُسر.

وذلك بأن ما أصاب الإنسان من عُسرٍ سواء أكان مادياً أم معنوياً عقلياً أو نفسياً وعلى اختلاف مراتبه، فلابد من أن يلازمه يسراً وان اختلف مع عسره من حيث المفهوم أو ابتعد عنه من حيث التطبيق، بمعنى سواء كانت الملازمة آنية أو مؤجلة فانه لابد من وجود يسرٍ معقبٍ لذلك العسر.

واعتبار العسر هو من زاوية نظر الانسان المُعيّن واعتقاده، فكل ما يراه الانسان عسراً هو خاضع لهذه القاعدة وان كان في نظر غيره ليس بعسرٍ، لان هناك تفاوت بين الناس من جهة اعتبار الحدث الواحد عسراً او ليس بعسرٍ، فالبعض يرى العسر حالة طبيعية وهناك من ينظر الى العسر على انه وجه من وجوه اليسر

(١) سورة الشرح / اية ٦.

وليس العكس. وأيضا ليس المنظور منه هو واقعه في العلم الإلهي اذ ان هذه المفاهيم منتفية في الواقع الإلهي.

والتلازم ما بين العسر واليسر، تارة يكون هو من نتاج العسر نفسه، وذلك من قبيل ما يبتلي الحق به عبده من عسرٍ فيكون اليسر منه بزوال ذلك العسر مجرّداً، وهذا فيما لو أنقص المعسر من حظوظ عطاء ذلك العسر، واعني بذلك ان نزول العسر في ساحة الانسان هو لأجل تحقيق فائدة معينة لذلك الانسان فإن تدخل الانسان بسوء تصرف فقد يفقد الفائدة او الأثر المترتب على ذلك العسر ولا يكون نصيبه من اليسر الإلهي الا الحد الأدنى وهو زوال العسر.

وتارةً يكون اليسر بما يفضي إليه العسر من فتح باب الالتجاء إلى الحق لدفع العسر مثلاً أو ذكره تعالى المؤدي إلى زيادة الرصيد الآجل أو التقرب العاجل.

وأيضا في بعض وجوه العسر ما يكون لأجل تغيير مسار ذلك الشخص النفسي او العقلي او القلبي، فكثير من العسر ما يكون عمله تصحيح مسير الانسان بما يرى الحق سبحانه من استحقاق ذلك الانسان، فيرسل اليه حالاً من العسر والذي غالباً ما يكون له

الأثر الأكبر بتغيير مفاهيم كثيرة لدى الانسان، فقد يكون من آثاره تخلي الفرد عن اعمال معينة او عادات مستقرة او التجرد من بعض صفاته، وخاصة ان كانت هذه الصفات لا تُزال الا بتدخل الهي.

وهناك امر يجب ان لا يغفل عنه الفرد، وهو ان بعض العسر هو بطلب من الفرد نفسه، وذلك حينما يطلب تغيير بعض احواله الحياتية فيكون العسر هو رسول التغير من قبل الله سبحانه، وانحصار التغيير بذلك العسر يرجع الى ضيق المساحة المعطاة من قبل الانسان لله تعالى.

التطبيق: على من أراد العمل بهذه القاعدة وكسب نتاجها أن يعلم جوهر القاعدة هو اليقين بهذه القاعدة على انه كلام حق ونظام اقره الله تعالى وضع له اسسه. وعليه يكون العمل بموجب هذه القاعدة وهو النظر بعين اليقين ان هناك يسر مصاحب لهذا العسر، بل ينبغي ان يكون محط نظره هو ذلك اليسر ولا يجعل من وطأة العسر حاجباً ومانعاً عن رؤية اليسر واليقين بوجوده. فالإنسان حينما يخرج من هيمنة وسلطان العسر فَسَيلج باباً يرى من خلاله سبب نزول ذلك العسر وما مؤداه وما أثره في حياته، لكن الانسان عادة ما يغفل حين نزول النوازل.

فالعسر الذي يطرأ على حياتنا ليس المراد الإلهي منه هو تعسير شؤوننا وخططنا بدليل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]. فنفهم من ذلك إن العسر وكل عسر إنما هو الباب الأصلح في بعض الموارد لنزول العطاء الإلهي المتمثل باليسر سواء فهمنا هذا اليسر انه اليسر الدنيوي أو اليسر الأخروي المصاحب للعسر الدنيوي.

فمن التفت إلى هذه القاعدة قل جزعه في مواطن العسر؛ لأنه على يقين من أن سبب العسر هو عطاء إلهي بغير عمل إنما هو منة منه سبحانه، عندها يرتقي الإنسان مرتبة في سُلّم الإيمان.

واليسر هنا هو ما يـراه الحق تعالى أصلح لعبده فان رأى الأصلح له زيادة التيسير الدنيوي يسر له ذلك أو رأى زيادة التيسير الأخروي فتح له ذلك وله المنة في كل ذلك.

والذي يتوقعه سبحانه منا ان نكون على قدر فهم المراد الإلهي الحقيقي من العسر.

وعليه، فعلى المرء الذي يمر بعسر أن يتيقن أشد اليقين أنّ وراءه يسر.

(١) سورة البقرة / اية ١٨٥.

قاعدة التوكل

المدرك: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[1].

المفهوم: وضع الله سبحانه وتعالى أسس وقواعد كثيرة من شأنها أن تساعد الإنسان وتعينه في إدراك غايته الكلية وبلوغ مطالبه سواء كانت أخروية أو دنيوية، وتخفف عنه ما أفتقر الى فائدة حمله، وتكشف له الوجوه الصحيحة للتعامل مع الحق تعالى، ومن ذلك قاعدة التوكل، وهي قاعدة غير قابلة للنقض أو الخرق أو التغيير كما هو طبع القواعد الإيمانية، حيث التزم الله تعالى بها وذلك بما اوجب تعالى على صفاته من تحقيق ما يطمح له من أتى بالمقدمات التي فرضها الله تعالى وأظهرها إلى عالم التطبيق.

والقاعدة مبنية على طرفين، وهما المقدمة والمتمثلة بفعل التوكل، والذي معناه عندنا: هو إرادة أمر معين والاعتماد على الله

(١) سورة الطلاق / اية ٣.

تعالى في تحقيقه، فيختلف عن التسليم بوجود الإرادة وعدمها في التسليم.

والطرف الآخر هي النتيجة والمتمثلة بما تحققه الإرادة الإلهية للمتوكل.

وجوهر تطبيق هذه القاعدة هو اليقين والثقة بالله تعالى وليس هو يقين مطلق بل هو خاص بالمطلب التوَكُلي قال الرسول الأعظم ﷺ: «**الثقة بالله ثمن لكل غالٍ، وسلّم لكل عالٍ**»[1] فمن توكل على الله تعالى في امرٍ ما فإن الله تعالى كافيه ومحقق مطلبه.

التطبيق: قلنا تطبيق هذه القاعدة يعتمد على اليقين بأنه سبحانه سيحقق مطلبي، وهذا اليقين متولد من التقوى وهي المقدمة الأولى، إذ أن نتائج التقوى الدنيوية الآنية هي زيادة اليقين بالله تعالى.

وتتدرج مراتب التوكل على حسب المستوى الإيماني للفرد وعليه تكون كفاية الله تعالى للفرد. وليس كل توكل بأي مستوى كان هو كافٍ لكل شيء! قطعاً لا، وإنما لكل أمر درجته من التوكل حيث درجة اليقين تصاعدية فربما لدى الإنسان درجة يقين بالله

(١) ميزان الحكمة / باب التوكل.

لإزالة ضرر صغير لكن ليس له اليقين لدفع ما هو أكبر من ذلك فاليقين الأول لا ينجده ولا يسعفه في الثاني.

ومن طبيعة الإنسان هي الاعتماد على حوله وقوته في تحقيق مآربه أو بصيغة أخرى إن الإنسان يتوكل على نفسه بالاستقلالية لقضاء مآربه ولذلك تبوء أكثر محاولاته بل كل محاولاته إما بالفشل أو النقصان إلا ما كان لله تعالى يدٌ فيها، والفشل ليس منحصراً في الأثر المادي فلربما يرى النجاح على الصعيد المادي لكنه يفشل في جوانب أخرى.

وللارتقاء إلى هذه الدرجة الإيمانية يحتاج الإنسان إلى فتح باب الاعتماد على الحق تعالى في بعض شؤونه ولا أعني الاعتماد الاحتمالي أي أنني أعتمد على الله تعالى في هذا الأمر فيحتمل أن يحققه ويحتمل ألا يحققه! فان هذا لا يسمى اعتماداً إنما المطلوب أن يكون فيه ثقة بالله تعالى أو حسن ظن من جهة تحقيق ما أريد، بل حتى إن كان اقل من ذلك إنما فيه كسر لطوق الاستقلالية بملاحظة الحق تعالى أثناء الإرادة، والأول يؤدي إلى الثاني حسب النظام التصاعدي.

وللتوكل ثلاث مستويات، وما يهمنا منها هو المستوى الأول،

وهو التوكل المادي؛ وبه يتوكل الإنسان على الله تعالى في أموره المادية كحصول الرزق وشفاء المريض ودفع المكروه وغيرها من الأمور. فان توكل الإنسان على الله تعالى حق توكله فانه سبحانه سيكفيه احتياجه دون تعب أو مشقة وذلك؛ لأنه حقق المقدمة وهي الاتكال على الله في ذلك عندها تأتي النتيجة لا محالة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[1] فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2] فإنهم قالوا حسبنا الله ولم يقولوا حسبنا قوتنا وأسلحتنا، ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ لأنهم توكلوا عليه. لكن قد يشكل البعض ويقول أليس الرزق مشروط بالسعي فكيف يرزق الله من لا يسعَ؟. قلنا جوابه من وجوه:

الوجه الأول: إن نظرية الرزق المشروط بالسعي لا نستطيع أن نفرضها على الله تعالى إنما يرزق من يشاء بغير حساب سواء بسعي أو بدون سعي وكثيراً ما رأينا ذلك.

---

(١) سورة آل عمران / اية ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران / اية ١٧٤.

الوجه الثاني: لو سلمنا وقلنا بنظرية السعي. قلنا إن السعي له شقان.

الأول: هو السعي المادي المعروف وهو أن يحصل الإنسان على رزقه نتيجة العمل المادي والجهد العضلي.

والثاني: هو السعي المعنوي لتحقيق الغرض المادي، ومن المعلوم إن الثابت في كلا الشقين إن الرازق هو الله تعالى إنما أوجد الحق بسعة فضله طريقين لكسب الرزق، الأول بالسعي المادي للحصول على الرزق والثاني بالسعي المعنوي وهو التوكل عليه للحصول على الرزق، فيكون الرزق في الأول رزق غير مباشر لاعتماده نظام الأسباب، وفي الثاني رزق مباشر لاعتماده على مسبب الأسباب جل جلاله.

لكن الفرق بين السعيين إن السعي المادي يقرب صاحبه إلى الدنيا ونظامها على عكس السعي المعنوي فإنه يقرب صاحبه إلى الله تعالى فيحصل بذلك على رزقه المادي ورزق معنوي وهو الرقي في مدارج الإيمان.

ويريد الحق تعالى أن يبين لنا من فتح باب التوكل إن ما لا نستطيع تحقيقه هو يستطيع تحقيقه لنا بشرط أن نطرح ما نريد في

ساحة كرمه، وما لا نستطيعه ليس لقصور في استعدادنا حاشا لله وإنما بظلمنا لأنفسنا.

ومما جعل الحق للمتوكل هو انه سبحانه لا يخذل من توكل عليه يقول جل جلاله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] عزيز لا يذل من توكل عليه وحكيم يدبر أمره بحكمة؛ وكذلك فالمتوكل ارتقى إلى شرف محبة الله له؛ إذ يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2] فيكون محبوباً من قبله تعالى.

وكذلك مما خص الله تعالى به المتوكلين هو عصمتهم من تأثير الشيطان فليس للشيطان سلطان عليهم وذلك بحسب ما بين الحق تعالى إذ يقول: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3] أي يتوكلون على الحق تعالى في دفع الشيطان فيرفع الله سبحانه عنهم تأثير الشيطان ومعه فلا حاجة لهم للإستعاذة منه.

---

(١) سورة الانفال /اية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) سورة النحل / اية ٩٨/ ٩٩.

قاعدة النصر

المدرك: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]

المفهوم: إن هذه القاعدة من قواعد الإمداد الإلهي وهي مقيدة بالإيمان إذ لا يستطيع الفرد أن يقدم تقدمة لأي موجود إلا بعد الإيمان به وكذا التقدمة لله تعالى تعتمد على الإيمان بالله من كافة وجوه الإيمان مثل الايمان بوجوده والإيمان باستحقاقه إن كان المُقَدِّم من الأحرار أو الإيمان بجزائه إن كان المُقَدِّم من العبيد أعني المبتغين للجزاء.

إن فتح هذا الباب هو من وجوه رحمته سبحانه لكي يستزيد الإنسان من العطاء الإلهي والمتمثل خاصة بالعطاء الاستعلائي، ففي أي مورد أراد الإنسان نصرة الله تعالى له وتحقيق أمانيه وغاياته فما عليه إلا أن ينصر الله تعالى، والذي جعل منه المفتاح لاستنزال النصر.

---

(١) سورة محمد / اية /٧.

وكما هي طبيعة القواعد التبادلية يكون نصر الله على مقدار نصرة العبد لله باستثناء وجود الرحمة.

إن الله سبحانه فتح كل أبواب العطاء لسد كل أبواب الاحتياج لدى الإنسان ومنها باب الانتصار، فبين لنا أن من احتاج في دنياه أو أخراه إلى الانتصار على كل معضلة سواء كانت داخل الإنسان أو خارجه فان الباب لذلك هي نصرة الله تعالى.

ومن الواضح أنّ الله تعالى غني فلا يحتاج إلى نصرة عباده مهما بلغوا من مراتب العقل والكمال. وإنما جعل نصرة العبد له ضرباً من ضروب العبادة واستعداداً لإستخراج القدرة لتحمل وتقبل النصر الإلهي، وكذلك ربط للعبد بمولاه من خلال هذه الروابط أو العلائق والمؤدية بدورها إلى مسير الإنسان على الصراط القويم. بل انه تعالى من سمو رحمته وعلو أخلاقه ينصر عبده وان كان عبده غافلاً عن نصرته بشرط أن لا تكون نصرته لعبده موجبة لتسافل العبد وإبعاده عن الحق وموارد ذلك كثير منها أن ينسب العبد النصر إلى نفسه أو للأسباب أو يؤدي به إلى العجب والغرور فان هذه النواقص تمنع نصرة الله للعبد من حيث إن الحق تعالى لا يقدّم لعباده إلا ما يكون فيه صالح لدنياهم وأخراهم إلا أن يريد الإنسان غير ذلك بالإرادة الجدية

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾[1].

التطبيق: اعلم هدانا الحق وإياك إن من أراد أن ينصر نفسه بقوة القادر المطلق وان يستنزل النصر دون أدنى خسارة أو تضحية بذي قيمة فعلية أن يفتح باب نصرة الله؛ لان كل نصرة بغير الله ليست بنصرة وان توهم الإنسان بأن إخوانه ينصرونه أو ماله أو عقله أو قوته الجسدية أو سلطانه فأن كل ذلك ليس إلا محض وهم صنعته نفسه وأهواءه.

وكل نصرة أو معونة من غير جانب الحق هي نصرة خاسرة ناقصة؛ لان ما يخسره المنصور أكثر مما يعطاه وان كان العطاء منظور والنقص غير منظور، ولان الإنسان ناقص مهما ابتعد عن مراتب النقص، أما الحق جل جلاله فهو الكمال المطلق ولا يصدر منه إلا ما هو مطلق الكمال وخالي من كل نقص قال تعالى:

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾[2] فسَلَبَ الحقُ نصرة كل ناصر فليس لأحد أن ينصر أحداً إطلاقاً بل ولا أدنى مراتب النصر، بل هو

(١) سورة البقرة / اية ٢٢٥.

(٢) سورة الملك / اية ٢٠.

تحدي صريح من قبل الله تعالى لكل من يدعي القدرة على النصر. وكل من يرى أن هنالك ناصراً دون الله فهو مغرور في توهمه؛ لان الغرور هو الاعتماد على شيء أما ليس له وجود حقيقي إنما وجوده هو صورة وهمية نفسية أو ليس له تأثير حقيقي، ولو كان اعتماد الكافرين على شيء له وجود أو تأثير حقيقي فليسوا بمغرورين. والشيء الأخر هو أن الكافرين هنا ليسوا من عبدوا الأصنام إنما من نسب النصر إلى غير الله تعالى فهو كافر في نسبة ما لله إلى غيره.

ومن لطائف الحق وسمة تواضعه أن ينزل الحق تعالى الى مستوى أن يكون جند لكم فينصركم في أدنى المواضع والمواطن إذا ما نصرتموه ـ إن هذا لشيء عظيم.

هذا، وأما بالنسبة لمواطن نصرة العبد لربه فهي كثيرة لكن نذكر منها ما يناسب هذا الموجز:

أولاً: نصرته بنصرة دينه وإظهاره ونشر تعاليمه وتفصيل محاسنه وهداية الناس إلى هذا الدين الذي اجتباه الله وخص به أفضل عباده ورسله محمداً ﷺ، وبالتضحية من أجل تثبيت دينه والذود عن حياض شريعته من كل طاعن مغرض ومُتقوّل مفسد.

ثانياً: نصرته بجهاد الكفار والمنكرين له تعالى شأنه، سواء أكان الجهاد مادياً أو معنوياً أي بالسلاح المادي أو بسلاح الفكر والتثقيف ودحض وإفشال التخطيط الرامي إلى إبعاد الخلق عن جهة الحق.

ثالثاً: نصرته بإتباع تعاليمه التي انزلها تحنناً منه علينا، والتي في إهمالها والإعراض عنها خذلان للغرض الأسمى من نزولها. والحرص على تطبيق تلك التعاليم هو نصرهُ جهةَ الحق على جهة الباطل.

رابعاً: نصرته تعالى بنصرة رسله وأولياءه، فان نصرتهم دعاء فعلي لإتباع الناس لهؤلاء الرسل وبالتالي لتحقيق الإرادة الإلهية، وتكون نصرتهم بنشر فضائلهم ومحاسنهم وخدمتهم لله تعالى وطاعتهم له وتحملهم الظلم والصعوبات لأجل جناب الحق وهداية الخلق.

خامساً: نصرته بنصرة المؤمنين به والمحبين له جل جلاله فانه من النصر غير المباشر لله والذي يؤدي إلى التعلق واليقين بالله من جهة المنصور.

سادساً: أن تنصر الحق تعالى على الشيطان وجنده وذلك بعدم إطاعة الشيطان والانصياع لتزينه ومجارات الخواطر الدنية

والخيالات الفاسدة وإنما بالتفكر بالآلاء الربانية واستيقاف النوازل الرحمانية.

سابعاً: تنصره على نفسك الإمارة بالسوء وهي العدو الأول لطريق الحق والسبب الرئيس لانحراف الخلق عن طريق الإيمان والنور. ويتجسد هذا النصر بكبح رغبات النفس والحد من شهواتها وعدم إطاعة أوامرها النازلة إلينا عن طريق رسل الخواطر والتي غايتها النزول عن خط الإيمان ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[1] فهذه غاية النفس تسعى إليها وهي أن تكون النفس معبودك وليس الحق وذلك عن طريق تحقيق رغباتها. ومن نَصَر جهة الحق والنور في داخله على جهة النفس والظلمة فإن ذلك هو النصر الأعظم لله تعالى وهو أصعب أنواع النصر.

ثامناً: أن تنصر الله تعالى بتخليص الإيمان وتمحيص الاعتقاد وذلك بعدم ظلم الله تعالى في فعله وصفته بأن تنسب أفعال الله تعالى إلى غيره أو صفاته وذلك هو الظلم العظيم وهو خذلان لله تعالى، ومن ذلك نسبة ما يرزقنا الله تعالى إلى البشر أو نسبة دفع البلاء إلى غيره، لولا ذلك لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي، إلى

(١) سورة الفرقان /اية ٤٣.

غير ذلك من مواطن الظلم والجحود. فمِن نصرة الله تعالى هو أن ننسب أفعاله إليه ونشكره عليها أو نصبر عليها.

أما بالنسبة للجزاء وهو نصر الله لعبده حسب ما تقتضي القاعدة فان موارد نصرة الله لعبده لا تكاد تحصى، ولكن نذكر بعض ما أدركناه، ومنها:

أولا: ينصركم بإعانتكم على أعدائكم من الكافرين وتعظيمكم في صدورهم وانزل الرهبة في قلوبهم وانزل السكينة على قلوبكم ويخفف عنكم وطأة الجهاد.

ثانياً: ينصركم بإزالة العوائق التي تعيق أدائكم نصرته وتهيئة أسباب نصرته تعالى ويمدكم بالقوة الجسدية والروحية وشدة التحمل لأجله.

ثالثاً: بإفاضة رزقه المادي والمعنوي عليكم والذي يكون خالياً من أسباب الابتعاد عنه لان جزائه نصرتكم فيجرده من كل شائبة تضركم على الصعيدين.

رابعاً: ينصركم نصراً أخرويا ويرفع من درجاتكم في عالم الجنان قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[1]، فينصرهم بإعطائهم ما تمنوه في الدنيا حين نصرهم له.

خامساً: ينصركم بزيادة الإيمان وتزينه في صدوركم وإزالة النفاق وتبغيضه إليكم.

سادساً: يؤيدكم بنصرة المؤمنين لكم في مواطن الضعف والاحتياج.

سابعاً: ينصركم بإنزال الملائكة لإعانتكم ـ وكما قلنا إن النصر من عند الله وليس من المؤمنين ولا الملائكة ولا غيرها، قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[2].

ثامناً: ينصركم بتسديد خطاكم وعصمتكم من الأخطاء المهلكة.

تاسعاً: يؤيدكم بنصره في تجاوز الاختبارات وبلوغكم ما ترجوه من مقامات القرب إليه تعالى فينصركم على كل ما يكون سبباً في إعاقتكم عن بلوغ المقامات العليا.

---

(١) سورة غافر / اية ٥١.

(٢) سورة ال عمران / الآيتان ١٢٣ - ١٢٤.

عاشراً: ينصركم على نفوسكم الإمارة بالسوء بتضعيف إرادتها وتقييد رغباتها ورؤية قبح النفس بالتالي إلى الإدبار القلبي عن جانب النفس.

حادي عشر: بإزالة الحجب التي تحجبكم عنه سواء الظلمانية أو النورانية. فان الحجب هي من أعداء الإنسان لأنها تمنعه من الاتصال بمطلوبه. وفي مستوى قوة النصرة تكون نصرته تعالى بإزالة ما يحجبه عن التقرب إلى الحق تعالى بتقوية إيمانه بالله وبأفعاله وصفاته.

قاعدة الدعاء

المدرك: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

المفهوم: إن هذه القاعدة من الفتح الإلهي والتي فتح الحق تعالى بها باب الاتصال به من غير الاحتياج إلى سبباً أو واسطة، إنما هو اتصال مباشر بالحق واستنزال لكل ما أراد الفرد من عطاءه سبحانه. وهو من الرحمة الكبرى، وبه يكون التعامل مع الله سبحانه وتعالى بتحقيق ما يعجز الإنسان عن تحقيقه وقضاء ما يعجز الإنسان عن قضاءه بل وما لا يعجز عنه، فان الله تعالى كرمه لازمنا إن توجهنا إليه دون ما سواه من سائر عباده وخلقه على اختلاف مستوياتهم فانه سيحقق لنا مطالبنا ورغائبنا، فيجب أن تكون هذه قاعدة اعتقاديه عملية راسخة في قلوب أهل الإيمان.

---

(١) سورة غافر / اية ٦٠.

واعلم إن الله تعالى جعل دعاءه عبادة لا دعاء فقط لأجل تحصيل المراد منه وذلك بنص الآية الكريمة:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] أي الذين يستكبرون عن دعاءه، فليست مسالة الدعاء كما يفهمها البعض من أنها مسالة طلب فقط إنما أكبر من ذلك ولو كانت مسألة طلب حاجات لما استحقت أن يتوعد الله تاركها دخول جهنم لكنه تعالى بين نظرته واعتباره للدعاء من أنها من ضمن العبادات بل من ارفع مستويات العبادة لأنها تدخل تحت عبادة الاتصال.

والاستكبار عن عبادته أو دعاءه ليس شرط أن يكون هو الكفر بل ربما يستكبر الإنسان باللجوء إلى ما دونه الله من الأسباب سواء العليا أو الدنيا، أو بالغفلة عن جناب الحق والاحتجاب بما يرى له أثرا ظاهريا، أو باليأس من الإجابة، وكلها داعية إلى الاستكبار أي الاستغناء عن إمداد الجهة المقدسة. وقد وعد أمثال هؤلاء من الذين يحتجبون بالاستكبار عن الاتصال بالجهة العليا والالتفات الجزائي إلى الجهة السفلى جهنم داخرين.

---

(١) سورة غافر / اية ٦٠.

وبما أن الحق تعالى جعل دعاءه عبادة إذن يتحصل للداعي من دعاءه مصلحتان الأولى هي استجابة الدعاء لما وعد الله تعالى بالإجابة مهما كان نوع الإجابة، والثانية حصوله على ثواب عبادة الدعاء بما الله رفعه إلى مستوى العبادة.

التطبيق: اعلم إن الدعاء هو من مراتب الإيمان العملي بصفات الله سبحانه من سماعه جلّ جلاله وتجاوبه، وفي الدعاء قطع للبعد بين العبد وربه ودفع للأوهام المرتكزة عن نظام الأسباب المادي، وتضعيف للجوانب المادية والاعتماد عليها، وتقوية لجانب المعنى من اليقين وحسن الظن والاستعانة وغيرها.

فعلى من أراد أن يزيد في إيمانه وقربه أن يلجأ إلى باب الدعاء والذي فتحه الله على مصراعيه، فلنا أن ندعوه تعالى بكل صغيرة وكبيرة ولم يشترط علينا نوع الدعاء ولا مستوى الدعاء إنما ادعوني بالكل أستجب بالكل وهذا هو منتهى القرب والوصال بين الخالق والمخلوق، قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: **«ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»**[1] وزاد بياناً الإمام الصادق عليه السلام: **«عليكم بالدعاء فإنكم لا تقربون إلى الله بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها لان صاحب**

(١) ميزان الحكمة / باب الدعاء / حديث ٥٥٦٩.

الصغار هو صاحب الكبار»[1] أي إن الذي يعطي صغائر الأمور هو الذي يعطي كبائرها ولا معطي غيره.

ويقسم الدعاء على أقسام متعددة، أصولها ثلاث حسب علم الإيمان:

أولاً: الدعاء القولي: هو الدعاء بلسان القول وهو المتعارف لدى الناس وهو أدنى أنواع الدعاء إن لم يقترن بالانعقاد القلبي.

ثانياً: الدعاء الفعلي: محصله أن يكون المؤمن داعي لله بفعله أي يكون أداء الفعل هو دعاء لسد نقص معين أو طلب حاجة مخصوصة وهو أعلى من الأصل الأول؛ لانّ فيه تقدمة لله والتي تنم عن قوة الإرادة للحاجة، ومثاله أن يدفع الإنسان الصدقة لأجل دفع أو رفع بلاء معين فتكون هذه الصدقة عبارة عن دعاء فعلي لله تعالى لأجل إنزال رحمته، وإلا فليس للصدقات القابلية على تغيير البلاء أو إنزال النعماء لأنها لا ترقى إلى ذلك لافتقار الماديات لقابلية الرقي إلى عالم المعنى وإنما هي إرادة تجسدت بفعل والتي تصعد هي الإرادة وهي لسان الداعي.

---

(١) ميزان الحكمة / باب الدعاء / حديث ٥٥٧١.

ثالثاً: الدعاء الحالي: وهو الذي لا يتضمن إظهار له بفعلٍ أو قولٍ، إنما حال المؤمن هو الذي يطلب كما يقال (حالي يغني عن سؤالي) فيكون حال الاحتياج هو دعاء لسد ذلك الاحتياج والله سبحانه يعتبره كذلك وقد جاء في دعاء الامام الصادق عليه السلام: «**يا من يعطي من سأله ومن لم يسأله**»[1].

هذا وان للدعاء جوهراً وقيمومة الدعاء علية وهو تيقن الإجابة فعلى من يدعو أن يتيقن الإجابة بل من العبث أن تدعو دون يقين بالإجابة، قال الصادق عليه السلام: «**إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساهٍ فإذا دعوت فاقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة**»[2] وليس من الدعاء ما بُني على ربما وعسى ولعل إنما أنت تدعو من لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، تدعو من اوجد خزائنه لأجلك لا لأجله، تدعو من طلب منك دعاءه وضمن لك الإجابة، من قال:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3] قريب أقرب إليك من إرادتك لحاجتك وأقرب إلى حاجتك من غيره القائل عز من قائل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى

(١) مفاتيح الجنان /دعاء رجب الاخير.
(٢) ميزان الحكمة / باب الدعاء / حديث ٥٦٠٩.
(٣) سورة البقرة / اية /١٨٦.

لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾[1]، فمن عرف ذلك وجب أن يتيقن الإجابة وإلا فدعاءه لغو ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾[2]. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا دعوت الله فاقبل بقلبك وظُنَّ حاجتك في الباب**»[3] هكذا يجب أن يكون اليقين بمن عرفنا منه القدرة والكرم والإرادة لإعطائنا ما سألناه.

واعلم إن لكل دعاءٍ إجابة والله تعالى لا يرد سائله، فكل من طلب اخذ، قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما كان الله ليفتح لعبدٍ الدعاء فيغلق عنه باب الإجابة، الله أكرم من ذلك**»[4] هذه أخلاقه فيجب أن نعامله بأخلاقه، ولكن من الناس من يغفل عن الدعاء أثناء الحاجة ويلجأ إلى المخلوقين المفتقرين مثله وهذا نتيجة ما سبق من سوء أفعال الإنسان والتي تكون سبباً لغلق هذا الباب في قلبه وعدم الإذن له بالدعاء بإنزال حجاب الغفلة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أراد الله أن يستجيب لعبدٍ أذن له بالدعاء**»[5] والإذن الإلهي هو التنبيه على الدعاء والتذكير به أثناء الاحتياج وتزينه في قلب العبد.

---

(١) سورة الفرقان / اية / ٧٧.

(٢) سورة الرعد، الآية ١٤.

(٣) ميزان الحكمة / باب الدعاء /٥٦٥٤.

(٤) ميزان الحكمة / باب الدعاء / حديث ٥٥٨٢.

(٥) ميزان الحكمة / باب الدعاء / حديث ٥٥٨٣.

وأما الاستجابة للدعاء وهي النتيجة من القاعدة فتكون على أوجه:

الوجه الأول: الإجابة الآنية المطابقة: وهي إجابة الحق تعالى لدعاء المؤمن بتحقيق مناله وتلبية مطالبه. وتكون أوكد وأسرع إذا كان الدعاء نابعاً من قلب طاهر ويقين معتدٍ به بالإجابة.

الوجه الثاني: الإجابة بالأصلح الدنيوي: وذلك عندما يدعو الفرد ربه تعالى لتحقيق غرضٍ معينٍ لكن الحق تعالى يرى إن تحقق مطلب العبد هذا سيؤدي إلى نزول مستواه الإيماني وذلك لان العبد نظر من جانب واحد وغفل عن أضرار هذا المطلب بل يرى فائدته الدنيوية فقط ﴿يَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾[1] فيكون من اللطف الإلهي ألا يحقق الحق تعالى مطلب عبده عندئذ يصرف هذا الدعاء لما هو أصلح للعبد دنيوياً.

الوجه الثالث: الإجابة بالأصلح الأخروي: وهو عندما يرى الحق تعالى بعين إحاطته ان هذا الداعي ليس له من الرصيد الأخروي ما يؤهله إلى الخلاص من العتاب أو العقاب إذ أن عمله لأخرته اقل من المرجو، فيتخذ الحق كل منفذ لرفع رصيد عبده الأخروي فمن ذلك تأجيل إجابة دعائه في الدنيا إلى الآخرة وبخاصةٍ

(١) سورة الاسراء / اية ١١.

إن كان الدعاء لأمر دنيوي ليس بذي بال فيجعل الحق تعالى دعاء عبده هذا زيادة لرصيده الأخروي حيث الاحتياج الحقيقي، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الرب ليلي حساب المؤمن فيقول تعرف هذا الحساب؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: دعوتني في ليلة كذا وكذا في كذا وكذا فذخرتها لك: فمما يرى العبد من عظمة ثواب الله، يقول: يا ربِ ليت أنك لم تكن عجلت لي شيئاً وأخرته لي!**»[1].

الوجه الرابع: الإجابة بالأصلح الإيماني: عندما يرى الحق تعالى من عبده همة في زيادة كماله وتقوية إيمانه فسوف يؤيده الله تعالى في ذلك باتخاذ شتى الأساليب ومنه أن يجعل دعاءه وذكره مرتبة من مراتب الإيمان فيحققه في تلك المرتبة عن طريق ذلك الدعاء. فإنه تعالى يقدم ما هو الأصلح لعباده.

فليس من دعاء على الحقيقة لا يجاب؛ لان الله عز شأنه ألزم صفة المجيب بوجوب إجابة كل داعٍ.

(١) ميزان الحكمة / باب الدعاء / حديث ٥٧٢٦.

ومن المفيد أن نذكر قول الرسول الأعظم عندما سُئل عن الاسم الأعظم قال: «**كل اسم من أسماء الله أعظم ففرغ قلبك من كل ما سواه وادعه بأي اسم شئت**»[1].

(١) ميزان الحكمة / باب الدعاء /حديث ٥٦٠٧.

قاعدة التكليف

المدرك: قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾[1].

المفهوم: إن الإنسان فطر على الطاعة أي جُعلت الطاعة من ضمن المرتكزات الفطرية للإنسان والمستفاد منها أعني الطاعة هو تطبيق مراد الحق تعالى للإنسان لأجل تشريف الإنسان وتطهيره وتحقيق مصلحته وسعادته المتمثلة في التقرب للحق المطلق بسلم الإيمان والكائنة في الخلود في مرضاته. فكان الغذاء الحقيقي للإنسان والمؤدي به إلى غايته هو ما ينزله الحق تعالى عليه من أوامر وتكاليف والتي بأدائها يصل الإنسان إلى سعادة الدارين، فوضع الحق تعالى إزاء هذه التكاليف قواعد تساعد الإنسان على فهم النظام الإلهي الذي وضع من اجل الإنسان. فكانت هذه القواعد هي أساس في ذلك النظام مقومة لما يليها من أجزاء النظام.

---

(١) سورة البقرة / اية ٢٨٦.

وقاعدة التكليف هي قاعدة إلزامية أي ملزمة للنظام العام من قبل واضع هذا النظام، ومضمون القاعدة أن كل ما يكلف به الرب سبحانه عباده هو داخل إطار سعتهم وقدرتهم في تحمله وفهمه وتطبيقه، ويتحصل منه بيان الحق لعباده بأن لا يتوقع أي إنسان بل أي مخلوق أن يكلف بما هو خارج عن قدرته وطاقته، وتكليف الإنسان بما لا يطيق لا يخدم مصلحة الإنسان. وتصرف الإنسان إزاء التكليف الخارج عن طاقته لا يعدو عن وجهين إما أن يطبقه تطبيقاً ناقصاً لأنه خارج عن قدرته وإما أن لا يطبقه إطلاقاً، وكلا الأمرين لا يخدم نظام الإنسان بل لا يوصل إلى أي نتيجة.

التطبيق: الاستفادة من هذه القاعدة في زيادة الرقي الإيماني يعتمد اعتمادا كلياً على اليقين بأن كل ما يأتي من جهة الحق تعالى هو داخل الوسع الإنساني وليس من تكليف خارج عنه وان توهم الإنسان ذلك فعلياً. فيكسر الحق تعالى بهذه القاعدة وهم التخويف النفسي بصعوبة التطبيق للأوامر الشرعية أو الإيمانية، فكثيراً ما يتردد الإنسان في الإقبال على الإعمال الإيمانية خوفاً من الصعوبة ومواجهة ما لا يطيق وهذا التردد نابع من النفس وليس له واقع خارجي، فأراد الله تعالى أن يكسر هذا الوهم بتثبيت هذه القاعدة وجعلها ضمن المعتقدات الإيمانية للفرد.

بل أكثر من ذلك هو أن التكليف الإلهي يأتي بأقل من وسع الإنسان دائماً لأجل التيسير والتوفيق لأداء ذلك الأمر يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«ما أُمر العباد إلا بدون سعتهم فكل شيءٍ أُمر الناس بأخذه فهم متسعون له»**[1] أي إن للعبد القابلية ليس فقط على أداءه بل وأداء ما هو أصعب وأعلى منه درجة.

لكن رب سائل يقول بل ليس سائل! إنما أكثر الناس تقول: إن الله يعرّضنا لما لا نطيق من الصعوبات والضغوطات والتي تخرج عن حيز تحملنا بل تؤدي بنا إلى الجزع والاعتراض على الله فهل هي داخل الوسع؟ أقول: إن الحق تعالى أعطى الإنسان القابلية على تحمل أمره وتطبيق تكليفه، بل أعطاه القابلية على تحمل ما لم يكلفه به، كل ما في الأمر إننا كنا لأنفسنا ظالمين؛ لأن القابلية موجودة لدينا لكن لا نستخدمها إنما نستخدم أقرب شيء إلى نفوسنا الإمارة بالسوء وهو الجزع والاعتراض على أمر الله وإلا فمن يصبر من الناس من أين يأتي بالصبر وهو مثلك لا يختلف عنك؟ كل ما في الأمر انه لم يتكاسل عن استخراج هذه القابلية المودعة فيه لأرادته ذلك وأنت عجزت بمطاوعة نفسك عند الحدث فلا تتأمل من نفسك خيراً، بل إن أتفه الأمور

(١) ميزان الحكمة/ باب التكليف /حديث ١٧٧٩٠.

وأصغرها إذا استقبلها الفرد بنفسه الأمارة بالسوء فسوف يرى عند أدائها صعوبات كثيرة، وليس هذا نقصاً في التحمل فلا توهمك نفسك بذلك. واليك مثال آخر، إن الله تعالى كلف عباده بالصيام فترى بعض أهل الإيمان يفرح برمضان ويؤدي الصيام بانبساط وراحة والبعض الآخر يتشائم من رمضان، ولا يصوم رمضان وان صام فيمزقه شر ممزق في الإسفار وتوهم الإمراض والإخطار؛ والسبب في ذلك ليس اختلاف في أصول القابليات وإنما الأول استقبل رمضان بقلبه والثاني استقبله بنفسه. ومن نظر إلى الأمور بنظرة نفسية أي بمطاوعة نفسه فسوف تجعل النفس من اليسير عسيراً ومن الجميل قبيحاً وإلا فأن صاحب النفس له القابلية على التحمل وأداء الأمر الإلهي كغيره.

قال عز من قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[1] أي قابليات الفجور وقابليات التقوى والتحمل وقوة الإرادة من التقوى المودعة في الإنسان. قال العدل الناطق والإمام الصادق عليه السلام: **«ما كلف الله العباد فوق ما يطيقون - فذكر الفرائض - وقال: إنما كلفهم صيام شهر من السنة**

(١) سورة الشمس /الآيات ٧/٨.

وهم يطيقون أكثر من ذلك»[1]، وكذلك انزل علينا البلاء اليسير ونحن نطيق أكثر من ذلك.

واعلم إن التكليف الإلهي يقع على أقسام متعددة وكلها داخل وسع الإنسان وليست بخارجة عنه ومن أهمها:

أولاً: التكليف المتمثل بما أمر الله تعالى بإيتائه من العبادات والمعاملات واجتناب نواهيه من المحرمات المرديات وكلها لم يشرعها الحق تعالى إلا بعد إيتاء الإنسان الوسع في ذلك ولولا ذلك لبطل النظام التشريعي.

ثانياً: البلاء: وهو النازل الإلهي لأجل الغفران والتكفير عن الذنوب ورفع الدرجات في محال جنانه، كذلك لا ينزل منها نازل إلا بعد توفر الوسع لدى الإنسان لتحملها واستقبالها على الوجه الحق وبالتالي إيتاء نتاجها.

ثالثاً: العطاء: فانه تعالى شأنه لا ينزل عطاءاً على عباده إلا بعد أن يوجد لديهم الوسع لتقبله بحيث لا يكون ذا وطأة شديدة تؤدي إلى تسافلهم وابتعادهم عنه تقدس اسمه.

---

(١) ميزان الحكمة /باب التكليف/ حديث ١٧٧٩١.

رابعاً: الاختبار: فإن الحق تعالى لا يعرّض عبده لأي اختبار من أجل تثبيت منزلة أو إخراج من مستوى دانٍ أو إزالة غفلة أو غيرها إلا أن يكون قد اوجد الوسع للنجاح في ذلك الاختبار قال تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1] أي إن ذلك ما خطته يدي القدرة في لوح القضاء وهو أن لا تكليف بغير الوسع وإلا فسوف يدخل في نطاق الظلم والله تعالى متعالٍ عن الظلم بغناه، فهم لا يظلمون من جهة الحق بتكليفهم ما لا يطيقون. وأما إهمال الإنسان لوسعه وطرحه جانب واختيار ما تملي عليه نفسه فهو من ظلم العبد لنفسه.

(١) سورة المؤمنون /اية ٦٢.

قاعدة الشكر

المدرك: قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

المفهوم: قال الراغب: الشكر: تصور النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها.

أي تصور صدورها من المنعم بأي مرتبة من مراتب الرؤية.

وهو باب فتحه الله سبحانه لزيادة العُلقة بينه وبين عباده الناتجة من التعامل معه سبحانه فقد ثبّت سبحانه أن من اتجه بقلبه أو لسانه أو جوارحه إلى جهة السمو وشكر النعمة التي نزلت عليه من تلك الجهة استحق الزيادة لزاماً وكان أمر الله مفعولا، قال الإمام الباقر عليه السلام: «**لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد**»[2] أي ليس لهذه القاعدة حد تقف عنده إنما هي استمرارية قائمة على أساس المعرفة والاعتراف بين الحق وعبده فليس من شكر إلا وهو مقرون بالزيادة حسب القاعدة. فان تمت المعاملة

(١) سورة إبراهيم / اية ٧.

(٢) ميزان الحكمة / باب الشكر / حديث ٩٥٩٥.

على أساسه فقد فُتح باب لا يغلق، وواقع هذا الباب هو صلة حقيقية بين العبد والرب جل جلاله أي سبيل يقرب العبد من ربه فليس هو أسلوب معاملة فارغ وليس بمقتصر على نتائج المعاملة الملحوظة والظاهرة بالزيادة حين الشكر بل الواقع إن الزيادة المعطاة في هذه المعاملة هي أدنى العطائين وهناك ما هو أعلى من ذلك العطاء وهو المنظور في الحكمة ويتمثل بدرجة الإيمان المستفيضة من تلك المعاملة والمعدة صاحبها إلى التي تليها.

التطبيق: من أراد أن يكون شاكراً وأنْ يخرج من دائرة قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[1] ويُكتب في ديوان الشاكرين عليه أن يشكر الله في موطن كرمه وفيض نعماءه المتصور بالسلب والعطاء، وهذا يحتاج إلى رؤية واضحة للنعمة وآثار المنعم فيها المستفاد من الاهتمام بهذه الجهة وعدم الغفلة عند حصول النعمة أو أخذها وإنما يقابل كل نعمة بما تستحق من الشكر حسب ما يفهم طبعاً وإلا فليس من شكر على الواقع لأن استحقاق الحق لا نهائي. لكن الحق تعالى ذكره فتح لنا موارد لشكره مترتبة على اختلاف مستويات العباد وهي مراتب متعددة مترتبة على أصول ثلاث:

(١) سورة سبأ / اية ١٣.

الأصل الأول: الشكر اللساني: هو إن يشكر العبد المنعم جل جلاله باللسان أي باللفظ الذي يرى فيه العبد سد لفجوة التقصير تجاه النعمة فأي لفظ يراه مناسباً للنعمة أتى به ومن مراتب هذا الأصل التحدث بنعمة المنعم بلسان الشكر البياني قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] فيحدث الناس بما انعم الله عليه مع نسبتها إلى الله طبعاً فيحبب الله تعالى إلى الخلق ويقربهم إليه بالتنبيه عن طريق النعمة. وهذه المرتبة بشقيها هي أدنى مراتب الشكر.

الأصل الثاني : الشكر الفعلي: وهو الشكر الظاهر من خلال أفعال الشاكر وذلك بتفعيل نعمة الله لشكره كمن يرزقه الله تعالى فيتصدق ببعض رزقه شكراً لله أو كمن يصلي شكراً لله تعالى على عطاءه وكذا من يرزقه الله علماً فيعلمه للناس ليس لان الناس محتاجون إليه إنما بنية شكر المنعم على ما انعم. قال الإمام علي عليه السلام: «**شكر المؤمن يظهر في عمله وشكر المنافق لا يتجاوز لسانه**»[2] وعنه عليه السلام: «**شكر العالم على علمه عمله به وبذله لمستحقيه**»[3] فمن انعم الله عليه بنعمة قابلة للظهور

(١) سورة الضحى /اية ١١.
(٢) ميزان الحكمة /باب الشكر /حديث ٥٦٠٥.
(٣) المصدر السابق /حديث ٩٦٠٦.

على جوارحه وجب إظهارها على جوارحه شكراً لله أو إظهارها إلى الخلق لزم، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[1] أي ليكن عملكم بدافع الشكر على هذه النعمة لا بدافع آخر لا لأجل نيل ثواب ولا لدفع عذاب وهذا اقل ما يقدم للمنعم شكراً على نعماءه.

واعلم أن العمل بنية الشكر من أرقى أنواع العمل لأنه خالي عن المصالح النفسية الخاصة والمطامع الفردية سواء الدنيوية أو الأخروية لذلك نرى مَن شكر الله بالفعل أي فَعَلَ الفعل لأجل أداء حق الشكر استحق الزيادة لأنه لم يطلب الزيادة فكانت عطاءً وفاقا من قبل الحق تعالى.

الأصل الثالث: الشكر القلبي ويترتب عليه ثلاث مراتب اللاحقة أعلى من السابقة في مدارج الإيمان:

المرتبة الأولى: الشكر الاعتقادي، ويتأتى بتسقيط سلسلة الأسباب بين المُنعِم والمُنعَم عليه فيرى النعمة نازلة من الله تعالى وليس لأحد فضل في ذلك غير الحق تعالى فيتيقن من كل ما يأتيه انه من الحق تعالى وليس للأسباب الإضافة أو التنقيص

(١) سورة سبأ / اية ١٣.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أدنى الشكر رؤية النعمة من الله من غير علّةٍ يتعلق القلب بها دون الله عز وجل والرضا بما أعطى، وان لا يعصيه بنعمته أو يخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته**»[1]. فلا يشرك في النعمة أحداً مع الله وان كان السبب الظاهر هو إنسان أو فعل أو أي شيء إنما هي أسباب اتخذها الله سبحانه لإنغماسنا في الأسباب وتفاعلنا معها وإلا فليست هي الفاعلة على الحقيقة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى اشكرني حق شكري فقال: يا رب كيف أشكرك حق شكرك وليس من شكرٍ أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي؟! فقال: يا موسى شكرتني حق شكري حين عَلِمتَ إن ذلك مني**»[2]. أي حينما نسبت ذلك الفعل إلي ولم يحجبك عني السبب الظاهر من الفعل.

المرتبة الثانية: الشكر الحالي، ويتأتى بعد أن يفتح للإنسان شيء من بصيرته ويرى إحاطة النعم الإلهية عليه وتوالي المنن في كل أحواله وفي كل حركاته وسكناته، ويرى عجز اللسان عن شكرها وقصور الفعل عن أدائها وضآلة الاعتقاد في ساحتها،

(١) ميزان الحكمة / باب الشكر/ حديث ٩٦١٨.
(٢) ميزان الحكمة / باب الشكر /حديث ٩٦٠٣.

فتصيبه حينئذ نفحة من الشكور فيطغى عليه الشكر فيكون عندئذ هو حاله، أي يكون حاله الشكر، كمن حاله الحزن على فقد حبيب وان أكل أو شرب أو نام فهو محزون في كل أحواله وهكذا يكون الشاكر في هذه المرتبة شاكراً لله تعالى في كل أحواله وتغيراته، وبها يكون المرء في أعلى مراتب الشكر.

المرتبة الثالثة: هو العجز عن الشكر وهو غاية الشكر ومنتهاه عندها يختم الإنسان مراتب الشكر ويكون شاكرً حقاً. وتتأتى هذه المرتبة عندما يرى الإنسان بعين بصره وبصيرته انه مهما فعل فلن يستطيع أنْ يشكر الله حق شكره لتتابع أياديه وتطاول مننه وانه كلما شكر وجب أنْ يشكر لما وفّقه الله لشكره ويرى انه كلما شكره زادة العطايا ويتذوق فيض العطاء المعنوي وتتكاثر نفحات الشكر الإلهي فيتضاءل الشكر الحالي ولا يصمد أمام المنن الإلهية فيعجز الإنسان عن الشكر ويعدم الحيلة والوسيلة فلا يبقى أمامه إلا العجز عن الشكر عجزا حقيقياً فيقدّم عجزه في ساحة المقتدر، حينها فقط يكون قد كمل شكره. قال إمام الأنام الصادق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام: «**تمام الشكر اعتراف لسان السر خاضعاً لله تعالى بالعجز عن بلوغ أدنى شكره**»[1].

(١) ميزان الحكمة / باب الشكر / حديث ٩٦٠٤.

فهذه بعض مراتب الشكر التي نطق بها لسان الحق في كتابه وأحاديث أولياءه.

واعلم إن لكل مرتبة من الشكر مرتبة من العطاء الإلهي توازيها صعوداً وتزيدها أفضالاً واقلها أن يهيئ الله عبده الشاكر لتقبل مرتبة الشكر التي تلي مرتبته يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما انعم الله على عبدٍ نعمة فشكرها إلا استوجب المزيد فيها قبل أن يظهر شكرها على لسانه**»[1].

الشيء الآخر، هل إن شكر العبد لربه على نعمة ما هو جزاء لتلك النعمة أي جزاء لله على نعمته؟!. حسب ما تبين إن العبد عندما يشكر ربه فإن هذا الشكر هو للعبد خالص وليس لله فيه شيء ولا ينال منه الحق تعالى لا شيء مادي ولا معنوي ولا غير ذلك إذ لا يصل إليه النفع والضر، قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[2] إذن فالحق تعالى عندما يطالبنا بالشكر لا لأنه يريد منا الجزاء كما يفعل البشر مع بعضهم إذا قدم أحدهم خدمة لأخيه طالبه بالشكر لإرضاء نفسه! كلا إنما الحق يطالبنا بالخير لأنفسنا يطالبنا بما يحقق سعادتنا

(١) ميزان الحكمة / باب الشكر / حديث ٩٥٩٢.
(٢) سورة النمل / اية ٤٠.

ويبعدنا على عذاب الغفلة وعذاب انقطاع النعم أي إن ما ينزل الله تعالى علينا من النعم بالدنيا يريدها أن تكون كذلك نعم في الآخرة وذلك بشكرها، فأنزلها من أجل أن نتنعم بها في الآخرة لا فقط في الدنيا ونحرم منها في الآخرة، إذن هو عطاء في عطاء وهو من أعلى مراتب الكرم ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1] أي انه لا يحتاج منكم الشكر فانه غني بذاته كريم بصفاته فكفركم لا يضره شيء وشكركم لا ينفعه شيء إنما اوجب عليكم ما يصلحكم وحرم عليكم ما يفسدكم فهل انتم شاكرون؟!!.

وكما إن الشكر يؤدي إلى زيادة النعمة كذلك فان الكفر وأعني به عدم الشكر يؤدي إلى سلب النعمة حسب قاعدة التغيير. وفلسفة ذلك إن كفران النعمة هو التمتع بها دنيوياً محضاً وعدم الالتفات إلى المنعم وشكره بأي طريقة، فتكون بذلك النعمة مبعدة لهذا الإنسان عن نعيمه الأخروي ومما التزم به الحق من تقدم الأصلح لعباده يوجب لمصلحة العبد سلب هذه النعمة منه؛ لأنها لم تؤدِ الغرض الذي نزلت من أجله باستثناء أمر واحد وهو إن كانت هناك إرادة حقيقية للضلال عندئذ يكون العبد مصداقاً لقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ

(١) سورة النمل / اية ٤٠.

ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾[1] أي بالإرادة الحقيقية مع التجرد التام من إرادة الضد. فيكون بذلك سلب النعمة هي من النعمة وليست من النقمة؛ لان مصلحة العبد الأخروية تدعو بلسان حالها إلى ذلك.

(فسبحان من أنعم وشكر وسبحان من قدر وغفر)

(١) سورة ال عمران / اية ١٤٥.

قاعدة التقييض

المدرك: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[1].

المفهوم: الإعشاء: هو التعامي والتغافل، وفي الآية ما كان بقصدٍ من الفرد، أي انه يريد أن يتعامى عن ذكر ربه لا عن قصور ولا جهل وإنما بتفضيل العمى على الهدى مع وجود الهدى قطعاً وتوفر كل أسبابه وليس من وجود مانع عنه. وبما أن الله تعالى: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2] فيدخل في نظامه الحساب الآني المتمثل بالحساب الدنيوي والمشتمل على مفردات عديدة من العقاب المعجل وكذا الثواب، ومن العقوبات المعجلة هي المترتبة على التغافل عن ذكر الله، ولما كان لكل ذنب عقوبة تناسبه من حيث حجم الذنب ومستوى نيته وقوة الإرادة لذلك الذنب أمست عقوبة التعامي والتغافل عن ذكر الذاكر جل جلاله هو تقييض شيطان

(١) سورة الزخرف / اية ٣٦.

(٢) سورة البقرة / اية ٢٠٢.

يناسب مستوى تغافل الإنسان أو ما جاء به من الذنب ويكون ذلك الشيطان قريناً ملازماً ومصاحباً للمذنب، وهي من اشد العقوبات وطأة على الجانب الإيماني للإنسان؛ لأنه يؤدي إلى رفع المانع عن التسافل المؤدي إلى صعوبة في التقدم الإيماني والتقرب من الحق جل جلاله، ومن وجوه استحقاق المتغافل لهذا العقاب هو أنه تعامى عن ذكر الله في أوضح مواطن الذكر وأسهلها وهو الذكر حين وجود الرحمة لذلك أختار أسمه الرحمن دون غيره من الأسماء. فإن قدم الإنسان تلك المقدمة استحق تلك النتيجة حسب القاعدة.

التطبيق: اعلم إن مسألة التقييض هي قاعدة ثابتة في نظام الحساب الإلهي غير قابلة للخرق؛ وذلك لان مما وهب الحق تعالى لعباده صفة الالتفات سواء العقلي أو النفسي أو القلبي وليس للإنسان إلا أن يلتفت إلى ما حصر الحق تعالى قابلية الالتفات فيه وهما طريقان. أما طريق الحق والهداية والالتفات إلى نعم الله وعطائه ونقمه وبلائه ورؤية يد الحق فيها والمؤدي إجباراً إلى الذكر بالشكر أو الصبر أو غيرهما والموجب للتعامي والتغافل عن الجانب الأخر وهو جانب الظلمة والضلال. وأما أن يلتفت

الإنسان إلى جانب الضلال والزيغ ويفضل الجانب النفسي على الجانب الإلهي والذي يؤدي إلى بعد كل ما يتعلق بجانب النور والإيمان وقرب كل ما يرتبط بجانب الفسق والضلال ومن متعلقات هذا الجانب بل أساسياته وثوابته هو الشيطان فلا مفر من ذلك، ألا ترى أنَّ من يختار الدنيا يحب أهل الدنيا تلقائياً ومن أراد الآخرة أحب أهل الآخرة تلقائياً، فهذا هو سر القاعدة. فبه تكون الغفلة عن ذكر الله داعية لنزول الشيطان أي إن لسان حال المتغافل يدعو لنزول الشيطان لأنه ناسبه في المستوى أي دخل نظام عمل الشياطين وتأثيرهم، إضافة إلى ذلك لا يوجد مانع ألهى لدفع الشيطان بل هناك إذن ألهى لعمل الشيطان واتصاله بذلك الأعمى قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] أي إن الجاعل هو الله سبحانه بما كسبت يد العبد واستحق ذلك.

واعلم إن الشياطين وان خرجوا عن طاعة الله لكنهم لم يخرجوا من سلطانه وسطوت إرادته ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]. مهما كان ذلك الأمر وأينما كان سواء أكان من عالم النور والهداية أم في عالم الظلمة والضلال ولا يوجد شيٌ

(١) سورة الأعراف / اية ٢٧.

(٢) سورة يس / اية ٨٢.

خارج عن سلطانه وسيطرته ولا حتى المعدوم أنما الأمر إن الله تعالى يهيئ لكل إنسان ما يناسبه ويماثل ما بلغه من مستوى قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1] فتارة يرسل الشياطين لمن يناسبهم بالمستوى وتارة يرسل الملائكة لمن استحق وتناسب مستواه وذلك.

وكذلك يتحصل من الآية الجانب العكسي: وهو أن ذكر الله تعالى دافع للشيطان ومخلص من رجسه وكلما تصاعد ذكر الإنسان لربه تباعد عنه الشيطان بإذن الله وإرادته فكما أن الله تعالى هو الذي يرسل الشياطين كذلك هو الذي يبعدهم عن عباده قال تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2] أي هو الذي ينزل عليكم من سماء الروح ماء التوبة ليطهركم من الذنوب ويذهب عنكم اثر الشيطان من التخبط في ظلام الأماني والخيال، فكما جعل أسباب لنزول الشيطان ومصاحبته للإنسان فإنه جعل أسباباً لزوال الشيطان عن الإنسان، فإن سبّب الإنسان الأسباب لنزول الشياطين عليه أعطاه الله ذلك ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[3].

(١) سورة مريم / اية ٨٣.
(٢) سورة الانفال / اية ١١.
(٣) سورة إبراهيم / اية ٣٤.

وهنالك جوانب أخرى لنزول الشياطين على الإنسان سواء النزول الاقتراني أو المؤقت لكنها منطوية تحت التغافل، من ذلك ما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال «**بينما موسى عليه السلام جالس إذ اقبل إبليس. . . . قال موسى: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه. قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه**»[1] وقال أمير المؤمنين عليه السلام «**مجالسة أهل الهوى مُسناة - مفسدة - للإيمان ومحضرة للشيطان**»[2] وهذه الأعمال المذكورة هي نابعة عن التغافل.

ومما ينبغي ذكره هو أن الشياطين نوعان والآية شاملة لكلا النوعين وهما:

شياطين الجن: أي المستجنين والمحتجبين عن الأبصار والذين يوحون ويوسوسون في صدر الإنسان لتحفيزه على فعل ما يبعد عن الحق تعالى، لكن ليس لهم القدرة التأثيرية الكاملة على الإنسان إنما لهم التزيين فقط ولا يرتقون إلى أعلى من ذلك، وقوة الشياطين عكسية مع قوة الإيمان فكلما ازداد إيمان الفرد ضعف الصوت الشيطاني في باطنه وكلما ضعف الإيمان ازداد

(١) ميزان الحكمة / باب العجب / حديث ١١٨٤٦.
(٢) ميزان الحكمة / باب الشيطان / حديث ٩٤٠٩.

التأثير الشيطاني وضعفت مقاومته إذ ليس من مقاوم للشيطان غير الإيمان.

أما شياطين الإنس: فهم قرناء السوء من البشر الذين اتبعوا شياطين الجن وأهواء نفوسهم الأمارة بالسوء وانحط الجانب الإيماني لديهم واعوج الجانب الفطري عندهم حتى بلغوا مرتبة الشيطنة، فيوحون إلى من اتبعهم عمل السوء ويزينون له الفسوق والفجور وأثرهم لا يقل عن شياطين الجن إن لم يزد. وكذلك هم داخل إطار القاعدة. فعندما يبتعد الإنسان عن ذكر ربه وإيتاء ما أمره الله تعالى واجتناب ما نهاه فإذا ابتعد عن الذكر هيأ الله له من يصاحبه من شياطين الأنس فيكون رفيقه وصديقه إلى مماته أو تذكره فأن تذكر وأبصر رشده أزال الله عن ذلك القرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[1]. إذن كل من يتعامى عن ذكر الله في موطن الذكر يستحق أن يهيئ الله تعالى له شيطانً يلازمه، والتهيئة هي إزالة المانع ليس أكثر من ذلك وإلا فالشياطين قريبة من بني آدم لكن على قدر إيمان الإنسان يكون هنالك مانع إلهي عن تأثير الشياطين على ذلك الإنسان ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾[2].

(١) سورة الأعراف / اية ٢٠١.

(٢) سورة النساء / اية ٣٨.

قاعدة المحبة

مـدرك القاعدة: قـولـه تـعـالـى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

المفهوم: إن ما أوجبه الله تعالى بعدله دون رحمته هو أن يعامل عباده كما يعاملونه، لكن ذلك على الوجه العام وأما إن تخللت رحمته عدله فيكون هنالك اختلاف في المعاملة.

ومن طرق المعاملة مع الحق تعالى والتي انزلها لنا كرماً منهُ ومنة، هي المحبة والتي قيدت على أساس التبادل، فحسب القاعدة من كان يحب الله تعالى وجبت محبة الله تعالى إليه، حسب نص الآية ، وأما توسط الرسول ﷺ بين محبة العبد للرب ومحبة الرب لعبده فذلك لديمومة المسير في طريق المحبة، وعلة ذلك إن الإنسان يجهل مقدمات محبة الله وأساليب ديمومة المحبة وطرق تقويتها ولمعرفة ذلك يجب أن تؤخذ ممن أحب الله على الحقيقة وأحبه الله على الحقيقة وليس من طريق أسنى واشرف من

(١) سورة ال عمران / اية ٣١.

طريق حبيب الله الأكبر وهو الرسول الأعظم فليس من دليل أوضح واعرف بطريق المحبة من حبيب الله ﷺ وليس قوله اتبعوني لأني مشرّع ورسول بل لأني حبيب واسبق منكم قدماً في طريق المحبة، وإلا فأصل القاعدة كل من أحب الله أحبه الله بالتبادل لكن دواعي تقوية المحبة ستكون مجهولة، قال الإمام علي عليه السلام عندما سأله إعرابي عن درجات المحبين، قال: «**أدنى درجاتهم من استصغر طاعته، واستعظم ذنبه وهو يظن أن ليس في الدارين مأخوذ غيره، فغشي على الإعرابي، فلما أفاق قال: هل درجة أعلى من ذلك؟ قال: نعم سبعون درجة**»[1].

فمحبة الله ليست متوقفة عند حدٍ بل لها من المراتب والمدارج الكثير إلى أن يسقط من قلب المرء كل محبوب ويتوحد في محبة الله تعالى ثم تمحّص تلك المحبة لتزداد عمقاً في قلبه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام - كَذِبَ من زعم انه يحبني فإذا اجنّهُ الليل نام عني أليس كل محب يحب خلوة حبيبه؟! ها أنا ذا يابن عمران مُطّلع على أحبائي إذا جنهم الليل حوَّلتُ أبصارهم من قلوبهم ومثَّلتُ عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة**

(١) ميزان الحكمة / باب المحبة / حديث ٣١٥٨.

ويكلموني عن الحضور»[1] وقال الإمام علي عليه السلام: **«حب الله نار لا يمر على شيء إلا احترق ونور الله لا يطلع على شيء إلا أضاء»**[2]. فالمتحصل من القاعدة إن من أحب الله أحبه الله على قدر تلك الدرجة وكلما تصاعد العبد بمحبة الله تعالى تصاعد الله بمحبته لعبده.

التطبيق: بما أن محبة الله سبحانه سواء أكانت من طرف العبد أم من جناب الحق، هي سعادة العبد وسر راحته الدنيوية والأخروية ومزيلة لكل الآلام الناتجة من التعلق بالجهة السفلى من الماديات والجسمانيات والتي من طبعها الزوال.

واعلم إن الرقي في سلَّم الإيمان هو ابتعاد عن عالم الماديات وبالتالي زوال تأثيرها، وشقاء الإنسان ليس إلا نزوله إلى عالم المادة وإلا فليس من شقاء في جنة المعنى، وبالتالي فإن طرق التعلق بالله تعالى وزيادة إرادته هي ضالة الإنسان وغاية الإيمان. لذلك وجب على كل مؤمن بل كل إنسان أن يكون له نصيب من محبة الله تعالى والتي ينبغي أن تكون هي الدافع والمحرك لأفعاله وتصرفاته على نحو الخصوص إن لم تكن على وجه العموم.

---

(١) ميزان الحكمة / باب المحبة / حديث ٣١٥٢.

(٢) نفس المصدر ٣١٥٤.

ولأجل نوال محبة الله تعالى للعبد يجب أن يبادر العبد إلى محبة مولاه؛ لانَّ خلو قلب المؤمن من محبة الله تعالى خراب ومضيعة للإيمان ومحبطة للإعمال فلا يحسبن الفرد إن محبة الله تعالى من باب المباحات أو المستحبات!! نعم المستويات العليا في المحبة ليست من الواجبات الشرعية إنما من الواجبات الإيمانية لكن المستويات الأولى من المحبة واجبة فلا يتعامى الإنسان عن ذلك قال الإمام الحسين عليه السلام: «**عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبك نصيباً**»[1] بل العقل يحكم بأن من أعطاك دون أن ينتظر منك شيئاً، ونظر إلى مصلحتك قبل أن ينظر إلى مصلحته، وتغاضى عن أخطائك بحقه، وتواضع إليك، وكلمك من مستواك، وضحى من أجلك بأغلى ما عنده من أحبائه وأهله وأوليائه، وأبدع ما لم يكن موجودً لك، وسخر خلقه لخدمتك، واوجد خزائنه من أجلك، ورآك تعصيه وتعتدي على حدوده فسترك، وقدم لك ما لم يقدمه لك اقرب قريب واصدق صديق ولا أوفى حبيب، ألا يحكم العقل والقلب وكل جوارحه بوجوب محبته؟! وان كانت محبتك ليس هذا موضعها فأين تضعها؟ وما الفائدة منها؟ ولماذا

(١) مفاتيح الجنان / دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

وجدت؟ أوجدت من اجل أن نحب بها المال الذي لا نعرف ضره من نفعه؟ أم وجدت لحب العيال؟ الذين لا يفعلون لك شيئاً إلا لأجل مصلحتهم وان لم يجدوا منك شيئاً فدونك التراب! اجب وأنصف يرحمك الله، قارن وقس واستخرج وفكر فان وجدت في كل الوجود شيئاً يستحق المحبة غير الله فدونك هو وأنت غير ملام! ولكن أين ذا؟ ومتى كان؟ وما الذي فعله لك؟ وهل فعله بإرادته الخالصة أم بإرادة الله؟ أبقوته أم بقوة الله؟ أبفكره أم بإلهام الله؟. إذاً المقدمات الحقيقية والدواعي العقلائية لحب العبد لربه موجودة وموفورة وفوق حد الإحصاء-مع الالتفات-.

وهناك أبواب عديدة تطل وتصل بمن فتحها بتفكره إلى المحبة الحقة ومن تلك الأبواب:

الباب الأول: محبة الله بسبب نعمه: وذلك ضمن النظام القلبي للإنسان، وهو حب المرء لمن يحسن إليه قال الرسول الأعظم: «**جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها**»[1] فلم نسمع إن إنساناً كره إنساناً لأنه أعطاه ما ينفعه! فهي جبلة وطبيعة تكوينية وليست اكتسابيه، وتزداد محبة الإنسان لغيره كلما زاد إحسان غيره اليه وكثر عطائه وقل

(١) ميزان الحكمة / باب القلب /حديث ١٧٠٧٠.

أخذه، ولو تتبعنا إحسان من أحسن إلينا وإنعام من أنعم علينا لوجدنا الحق تعالى أول من أنعم وآخر من أتم، ولولا نعمته ما أنعم عليك منعم ولا أطعمك مُطعِم. وإن كل ما قدمه لك مخلوق أنت قادر عليه وكل ما قدمه لك الحق أنت عاجز عنه، وان كل ما قدمه لك مخلوق فله فيه شيءٌ من جلب منفعة أو دفع مضرة، وأما ما انعم الله به عليك فلا يترقب إزاءه شيئاً، بل كل من انعم عليك من الخلق استحق من الله العطاء الجزيل، وهذا كله بالنظر الاستقلالي وإلا ففي واقع النظر لا منعم إلا الله وان تغيرت الصور والأسباب.

فمن رأى نعم الله عليه وتوالي يديه لا يسعه إلا أن يحب الله تعالى لأجل ذلك.

الباب الثاني: محبة الله بسبب أفعاله: فلو جرد الإنسان نظره من غشاوة الأسباب فسيرى الأفعال الإلهية المتوالية عليه والمدركة له في كل حال من حفظه من الآفات وستره حين الذنوب وتيسر أموره ودفع البلاء عنه ورفع منزلته في الدنيا أو الآخرة وإعطائه الكثير بالقليل وتنبيهه حين الغفلة وتقديم الأصلح له حتى لو كان على حساب نظامه تعالى، بل كل ما يواجهك من فعل غيرك فإن الحق تعالى إن رأى فيه مصلحة لك أمضاه وأذن بصدوره وان لم

يكن أبقاه وأوقف حدوثه. فلو رأى الإنسان ذلك فسيكون داعي المحبة أكبر وأسبابه أوفر وموانعه أصغر.

الباب الثالث: محبة الله تعالى بسبب صفاته وأخلاقه: من المعلوم إنَّ الصفات والأخلاق من الدواعي الكبرى للمحبة وعلى ذلك تقيس البشرية وتقاس. فمن نظر إلى أخلاق الله وصفاته سوف يجد مواطن المحبة والتي تجبر المرء على أن يضع محبته فيها؛ لأن أهلية الله للمحبة ليس لأنه يحيي ويميت ويعذب ويثيب بل لسمو أخلاقه والتي لو تخلق بها غيره لأستحق المحبة عدلاً ومن أبسط أخلاقه الظاهرة ما ورد بما معناه من أن العبد يتعدى حدود الله ويأتي بكل فاحشة ثم يكون قد كتب عليه البلاء فينظر الله إن كان في هذا البلاء فائدة لهذا العبد أمضاه وان لم تكن حجب ذلك البلاء عنه! فلا ينظر إلى إن هذا العبد خالف أو تعدى حدود الله فيجب أن انتقم منه! بل ينظر بعين الرأفة والعطف. وكذلك من أخلاقه ما يبينه الإمام السجاد عليه السلام في دعاءه لدفع كيد الأعداء إذ يقول: **«لم تمنعك اسأتي عن إتمام معروفك»**[1] وتصوير ذلك، إن الحق تعالى ينعم على عبده، فيسيء العبد لله أثناء نزول النعمة فلا يقطع الله هذه النعمة بل يتممها عليه. فلا يقول اقطعوا النعمة عن هذا

(١) الصحيفة السجادية.

المسيء، أو إن هذا العبد لا يستحق هذه النعمة، بل أخلاقه أسمى وأعلى من ذلك. ومما أوضح الإمام السجاد عليه السلام كذلك في دعاء العيدين صفة التأني الإلهي ومدى طول الأناة لدى الحق على عباده ومعاصيهم حتى إن إمهاله لهم وعدم التعجيل لهم بالعقوبة ربما أدى بهم إلى التجرئ على الله جل جلاله وإساءت تقديره فيقول عليه السلام:

«حتى لقد غرتهم أناتك عن الرجوع وصدهم إمهالك عن النزوع»[1].

فمعرفة الأخلاق والصفات الإلهية هو طريق حقيقي لمحبة الله تعالى، لمن كان له قلب سليم وفكر مستقيم.

واعلم إن محبة الله لعباده سابقة على محبة العباد له ولاحقة بعد محبة العباد له سبحانه؛ لان الله تعالى أحب الإنسان قبل إيجاده، بل إنه تعالى فَضّلهُ على كثيرً ممن فضلنا على الله تعالى!.

فأحب الله تعالى الإنسان وفضله على الولد ولو كان الله يحب الولد أكثر من العباد لأتخذ ولدا ونحن نحب أولادنا أكثر من الله إلا ما ندر، وكذلك فضله على الصاحبة ولو كان يحب الصاحبة أكثر من العباد لاتخذ صاحبةً ونحن نحب نساءنا أكثر من الله تعالى.

---

(١) الصحيفة السجادية دعائه يوم الفطر.

يبقى شيء وهو هل إن المحبة مقرونة بالأفعال؟.

للجواب على ذلك نقول: إن المحبة هي إرادة بشغف وتكون بانعقاد القلب على شيء ما، أما بسبب صورته أو فعله أو صفته، وذلك إذا وافق ما في الخارج المراد القلبي للإنسان. وتكون المحبة دافعاً للمحب لتقديم ما أراد المحبوب، فإن الإنسان إذا أحب شخصا ما قدم له أغلى ما عنده ـ على قدر المحبة ـ وكذلك فمن أحب الله تعالى أوجبت عليه محبته أن ينظر ما يريده الله منه ويقدمه له سواء الفعل أو الترك وأدنى ذلك ما بينه أمير المؤمنين إذ يقول: **«من أحب شيئاً لهج بذكره»**[1] وهو ليس بخارج عن طبيعة الإنسان؛ لأنه إن أحب أمراً أكثر الحديث عنه واظهر محاسنه، فتكون المحبة دافعة إلى العمل.

واعلم إن العمل النابع من الحب هو أخلص وأنقى وارفع وأزكى أنواع العمل؛ لأنه مجرد من المصالح القذرة بل إن العمل بسبب المحبة اشد قبولاً وأقوى سلطاناً لخلوه من مدنيات الأعمال، وقد جاء في صحف إدريس عليه السلام: **«طوبى لقوم عبدوني حباً واتخذوني إلها ورباً، سهروا الليل ودأبوا النهار طلباً لوجهي**

(١) ميزان الحكمة / باب المحبة / حديث ٣٠٧٣.

من غير رهبة ولا رغبة ولا لنارٍ ولا لجنة بل للمحبة الصحيحة والإرادة الصريحة والانقطاع عن الكل إليَّ»[1].

وان صاحب هذا العمل هو في أرقى مستويات الإيمان حيث صدرت كل عباداته بأخلص النوايا وبالتالي من أطهر القلوب، ولا تتأتى هذه المنزلة إلا بتجاوز المنازل السابقة عليها. ولا يتقيد العمل بدافع المحبة على المستحبات وما يتطوع به الإنسان لله بل يبدأ من الواجبات فبدل أن يأتي بها الفرد بدافع الطمع بما عند الله أو الطمع بتجنب عذاب الله بل بدافع المحبة لله تعالى فيتجرد حينئذ من المصالح الدنيوية والأخروية.

هذا وان للمحبين صفات اكتسبوها من محبتهم لله تعالى فمنها:

كثرة ذكرهم لمحبوبهم باللسان والقلب وعبادته والتفكر به والنظر إليه في كل فعل، وإيثاره حضرة الحق على إرادة النفوس وأهوائها وتقديم ما يريد المحبوب وان عارض إرادة غيره قال الإمام الصادق عليه السلام **«دليل الحب إيثار المحبوب على ما سواه»**[2] فلا ينظر إلا إلى ما يقربه من محبوبه وان أدى إلى التضحية بالخلق أجمعين. كذلك صفات المحب على الحقيقة

(١) ميزان الحكمة / باب المحبة / حديث ٣١٣٢.
(٢) ميزان الحكمة / باب المحبة / حديث ٣٠٧٥.

هو عدم السخط والجزع من المحبوب مهما فعل به؛ لأنه يرى كل ما يصدر من محبوبه جميلاً وكل ما دون محبوبه لا قيمة له، ومن اللطيف ما ورد أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى في مناجاته، قال: «**أي ربِ، أي خلق أحب إليك؟ قال: مَن إذا أخذت حبيبه سالمني**»[1] أي لا يجزع ولا يسخط على الله تعالى وان جرده من متعلقاته الدنيوية وذلك إن كان حب الله أقوى في قلبه من سواه، وبذلك يبادله الله المحبة بل يكون من أحب الخلق إليه.

ومن مصاديق ذلك ما نقله لنا التأريخ عن زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام عندما سألها عبيد الله ابن زياد كيف رأيت صنع الله بأخيك ؟! قالت:

«**ما رأيت إلا جميلاً**»[2] فهذه صفات المحب الحقيقي. بل لا يبلغ الإنسان خالص المحبة إلا أن يكونَ الله تعالى أعلى محبوباته قال الإمام الصادق عليه السلام «**لا يَمحصُ رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحب إليه من نفسه وأبيه وأمه وولده وأهله وماله ومن الناس كلهم**» ومن كان هذا حاله مع الله بادله الله المحبة نفسها وأحبه أكثر من كل خلقه وأعطاهُ لا بعدله ولا برحمته ولا بكرمه بل بمحبته.

---

(١) نفس المصدر / حديث ٣١١٧.

(٢) مقتل الامام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرم.

قاعدة الفرقان

مَدرك القاعدة: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[1].

المفهوم: إن من القواعد الثابتة في علم الإيمان والتي بنيت عليها أسس قويمة للتصاعد في مدارج التكميل الإيماني والمعطية للمقياس الصحيح في معرفة ما يزيد في رقي المؤمن وما يؤدي إلى نزوله، هي قاعدة الفرقان والتي من المفترض أن يدركها الفرد بوسيلة التقوى إذ إن ما أُودع فيه من قابليات واستعدادات كاملة توصله حين استغلالها والإفادة منها إلى درجة العبادة المقررة في نظام التكامل الإلهي وهي درجة.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2].

وكما أسلفنا إن المقدمة الموصلة إلى نتيجة الفرقان هي التقوى والتي قيد الحق تعالى بلوغ تلك المنزلة بها.

---

(١) سورة الانفال / اية ٢٩.

(٢) سورة ال عمران اية ١٨.

والتقوى: هي حفظ النفس ووقايتها من الوقوع في الأضرار، وبما أن الضرر الحقيقي للنفس هو الابتعاد عن حظوظها وأسباب بنائها المتمثل برقيها، اذاً لا بقاء للنفس على الوجهة الحقة إلا بدوام تقدمها فيما رسم لها من نظام يحفظ به وجودها وما أودع بها.

وأعظم سبل هلاك النفس هو الإقبال على جهة الدنو المانعة من نيل كمالاتها والمؤدية إلى خلودها في عذاب الظلمة. أما الإضرار المعترضة للنفس على الجانب الدنيوي فليست بإضرار بالمعنى الحقيقي بل اغلبها ذات فائدة للنفس من قبيل الضرر الناتج من نقص الملذات الدنيوية فإنها ليست إلا أسلوباً لإستخراج مكامن النفس من حيز القوة إلى حيز الفعل.

أما الفرقان: فهو نور ملكوتي يُفرِق به بين الحق والباطل يفيضه الله تعالى على من تمسك بحبل التقوى. قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إن تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطَهور دنس نفوسكم وجلاء عشا أبصاركم وامن فزع جأشكم وضياء سوء ظلمتكم»**[1].

(١) نهج البلاغة / الوصية بالتقوى.

فلا نزول للنور الفرقاني إلا ببلوغ المرتبة الثانية من مقام المتقين.

التطبيق: قبل الدخول في موارد التطبيق هنالك سؤال يدعو للإجابة وهو: إن كان الإنسان قد آمن ودخل التقوى وهو اتقاء الذنوب والوقوف عند الشبهات فما حاجته إلى الفرقان؟! وهو باتقاءٍ سابقٍ فرّق بين المصالح والمفاسد واتقى المفاسد وآتى المحاسن!.

وجوابه بملاحظة جانبين:

الجانب الأول: يتمثل بالجانب الدنيوي، وهو التعامل الدنيوي مع الخلق فان الفرقان يبين للإنسان ما هو الأصلح له دنيوياً، أي يفرق بين المصالح والمفاسد الدنيوية فيتبين له ما ينفعه مما يضره، وغيره عاجز عن ذلك إنما يعمل غيره على حسب استحسانه العقلي ليس أكثر وما أكثر أخطائه، وهذا ما نبه عليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله السابق «**وجلاء عشا أبصاركم**»[1] أي مقياس على الجانب الدنيوي والجسماني.

وليس للإيمان الأول أو المراتب الأولى من التقوى أن تعطي

(١) نهج البلاغة الوصية بالتقوى.

الإنسان ذلك إنما تبين القواعد الأساسية والمنطلق الأول لطرفي الأخلاقي والتصاعد الإيماني.

الجانب الثاني: وهو الجانب الإيماني: فمن المعلوم أنّ ظاهر الشريعة لا يعطي كل مستويات الإيمان وان كان يحوي على ذلك لكن من جهة العطاء الفعلي فليس ذلك من تكليفه إنما يعطي الأسس الصحيحة للانطلاق في عالم التكميل، وليس لغيره القابلية على ذلك. وتبقى المستويات العليا متعلقة بالمراتب الإيمانية بما تحوي كل مرتبة على فيضها وموانعها وحدودها التي حدها الحق بها وليس لها الرقي فوق ذلك. والفرقان من فيض مراتب المتقين، والذي يفرق به المتقي ليس الحلال والحرام قطعاً! فذلك أخذه من الشريعة إنما يفرّق في الأفعال العامة والأحوال الخاصة والخواطر الداخلية والأفكار العقلية، وكذلك المباحات فيفرق بين ما يتقرب به لله تعالى في فعله أو تركه.

يكون ذلك النور الفرقاني ملازماً للمتقي في كل أفعاله فيرى به أحجار آخرته واطمار دنياه.

فلا يتخيل امرؤ أن الذنوب والحسنات متوقفة على مستوى ما،

إنما هي متصاعدة بتصاعد الإنسان وبما إن الكمال مطلق فالنقص مطلق.

واعلم: إن للتقوى مراتباً وموارداً يترتب على أثرها مستوى الفرقان النازل ويسلب بسلبها.

ومن أصول مراتب التقوى:

أولاً: اتقاء العذاب: ونقصد به العذاب الإلهي سواء الدنيوي منه أو الأخروي بتجنب مسبباته من الفعل والترك المنصوص عليه بالقيد الأول.

ثانياً: اتقاء الحرمان: وهو النظر لموجبات زوال النعيم بأفعاله فيتقي بترك المزيل، ويتصاعد الفرد بتصاعد طمعه الأخروي.

ثالثاً: اتقاء الهجران: وهو أعلى المراتب الثلاثة ولا يفقه ذلك إلا من نال لذة الوصال فيتقي أسبابه ويتجنب آثاره ويقف على متشابهاته، فيُعطى فرقاناً في كل أمر وموقعه من الوصال أو الهجران فيسعى نور صاحبه بين يديه.

وأما موارد التقوى فكثيرة منها:

أولاً: التقوى في اجتناب المحرمات وإيتاء الواجبات وهي المراتب الأولى بعد التمام.

ثانياً: التقوى في إيتاء المستحبات وترك المكروهات على ما قدر الله تعالى عبده على ذلك وليس لها تمام.

ثالثاً: التقوى في ترك المباحات وأعني صيرورتها إما بما يقرب إلى الحق تعالى وإيتائه وإما ما يبعد عنه واجتنابه.

رابعاً: التقوى من ظلم النفس بالمراتب الدنيا من النعيم.

خامساً: التقوى من الغفلات لمن فهم العبادة المطلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

سادساً: التقوى من الغرور بالعبادة.

سابعا: التقوى من رؤية الحسنات.

ثامناً: التقوى من الاحتجاب بالنعمة عن المنعم.

تاسعاً: التقوى من الإشراك الخفي بكل مراتبه.

عاشرا: التقوى من الاشتغال بغير الله (وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك)[2]

حادي عشر: التقوى من حجب النور.

---

(١) سورة الذريات / اية ٥٦.

(٢) الصحيفة السجادية /مناجاة الذاكرين.

وهناك موارد عديدة للتقوى على أساسها تكون منزلة المتقين كذلك لكل منزلة مستوى من النور الفرقاني.

وإما الفيض الفرقاني فينزل على ثلاث منازل:

أولا: الفرقان النفسي: ويمثل التفريق بين الحق النفسي الباطل من أوامرها ورغباتها التي توحيها إلى صاحبها والنابعة إما من الاحتياج الحقيقي والتكميل النفسي التصاعدي وإما من رغبات الميول إلى جهة الملذات الدنيوية فيفرق بنور الفرقان بين ما يساميها وما يسافلها حتى وان جاءت رغباتها بصورة شرعية أو عقلية فكثيراً ما تُلبس النفس رغباتها ثياب العقل والشرع، فصاحب هذا المستوى قادر على تمييز ذلك. كذلك يفرّق صاحب هذا المستوى بين النفوس الصالحة والنفوس الفاسدة، فلا يحتاج إلى التعامل معها والاستنتاج والتتبع العقلي إنما بما يملي عليه فرقانه.

ثانياً: الفرقان العقلي: والمستفاد منه التفريق بين الأفكار الحقة والأفكار الباطلة سواء على الصعيد الدنيوي المتمثل بالأفكار النافعة أو التامة في تحقيق ما يبتغي المرء من أمر دنياه، أو على صعيد الاعتقاد من المعتقدات الفكرية الناقصة والتي تؤدي إلى

انحراف اعتقادي والأفكار التامة، فيفرق المتقي بين ما يأتي من جهة العقل والعمل به أو تركه.

ثالثاً: الفرقان القلبي: ويفرق به المتقي بين الواردات القلبية من الخواطر النازلة والصاعدة ومعرفة مواطن التطهير القلبي وأسباب قطع العلائق القلبية والتفريق بين المؤثرات القلبية سواء الداخلية أو الخارجية.

والفرقان يفتح لصاحبه من الأمور ما تعجز عنه المستويات السابقة له، لذلك نرى من المؤمن الذي لم يبلغ رتبة المتقين التخبط في كثير مما يعرض له فيسدل حجاب الغفلة على كل ما لا يجد إزاءه فيصلاً مما يؤدي إلى اقتصاره على مرتبة الإيمان.

واعلم إن أعلى مرتبة في التقوى قد حازها الرسول ﷺ ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام والتي كانت داعية لاستحقاقه أن يكون الفاروق الأكبر ومن أدنى موارد فرقانه عليه السلام انه كان يفرق بين النوايا قبل نزولها إلى حيز الأفعال.

قاعدة البِر

المدرك: قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[1].

المفهوم: البِرُ: قيل في معناه هو الصلاح وقيل هو الخير وقيل الطاعة وقيل الاحسان، وقيل سعة الخير. وكلها تندرج ضمناً في الخير وسعته.

والفهم الأول من مدرك القاعدة هو أن لا حصول ولا وصول للوسع في الخير والنعمة الإلهية المادية أو المعنوية حتى يكون إنفاقكم مما تعلقت به قلوبكم وتمسكت به نفوسكم. نعم الإنفاق العام يعطي لصاحبه الثواب لكنه لا يوصل إلى البر أو التحقق بدرجة أهله.

فالمستفاد من هذه القاعدة الإيمانية إن الحق تعالى قيّد فتح باب التوسع في الخير والطاعة التي هي من الخير بالإنفاق من المتعلقات المادية والمعنوية في نفس الإنسان وان اختلف الناس في محبوباتهم إنما القيد هو كونها من محبوبات الإنسان سواء

(١) سورة ال عمران / اية ٩٢.

أكانت ذات قيمة في نظر العقلاء أم ليست كذلك بل كل ما أحبه الإنسان. وجعل دخول البر والتدرج بمدارجه إلى بلوغ منزلة الأبرار نتيجة حتمية لذلك الإنفاق، بل إذا قلنا إن اسمه تعالى البَرّ هو مصدر صفة البِرّ فيكون لن تنالوا بر الله تعالى حتى تنفقوا لما تحبون.

وبما إن الآية مطلقة من جهة المقدمة وهي الإنفاق وعدم تقيدها بنوع أو كم أو كيفٍ فتكون غير مقتصرة على الإنفاق المالي، وكذلك يُستفاد من هذا الإطلاق إطلاق البر وتعدد مراتبه، وبه يكون للإنفاق مراتب ومفردات لم يحدها الحق بحد قال الرسول الأعظم ﷺ: «فوق كل ذي برٍ برٌ حتى يقتل الرجل في سبيل الله فليس فوقه بر»[1]. فيشمل الإنفاق كل ما له قابلية الإنفاق سواء كان مادياً محسوساً أو معنوياً مدركاً.

التطبيق: إن من خصائص هذه القاعدة أنها تجريدية من جهة التعلق بحطام الدنيا والتسلسل بسلسلة تنزيلها إلى مستويات الهلكة في بحر زخرفها وتوصيلية من جهة التعلق بالأسباب العليا الجاذبة للإنسان إلى مراتب الجنان قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ

(١) ميزان الحكمة / باب البر / حديث ١٦٧٦.

ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[1] وهذه العليين حاصلة من إنفاقهم من معالي متعلقاتهم وممتلكاتهم الملزمة للنظام الإلهي القلبي بنزول معالي العطايا الإلهي، المتمثلة بعليين. ومن المفترض إن المستويات الدنيا من الإنفاق وهي إنفاق دواني الأموال تكون مقدمة لإدراك وتذوق الإنفاق الأعلى الذي قيّد الحق نوال مرتبة الأبرار به والبر الإلهي من جهته والتوسع في الخير على المنفق.

والإنفاق يكون على ضروب، كلها مطلوبة كلٌ بحسب ما رزقه من الأشياء القابلة للإنفاق والمفتوح أمامها باب القبول الإلهي، ومنها الإنفاق من جهة المال والذي يقتصر عليه فهم المؤمن الساذج ويتوقف عنده ما يؤدي إلى توقف تصاعده في مدارج السير والتقرب إلى البر الرحيم والاقتباس من نور فضله وهي القدم الأولى لمن أتاه بحقه وحقوقه قال تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ.....﴾[2] فقد أعطى الحق في هذه الآية مبدأ البر ومقدمات تحققه إلى نتيجته الفعلية والتي

(١) سورة المطففين / اية ١٨.

(٢) سورة البقرة / اية ١٧٧.

سببها البر ألاعتقادي من الإيمان بالله وما انزل وأرسل ونتيجته التي ينبغي أن يصل إليها من كان قد أحسن المقدمات اعتقاداً وجزماً وهي الإنفاق مما تحبون. وسواء أخذنا سبب النزول وهو اختلاف اليهود والنصارى في قبلة المشرق والمغرب أو تحررنا من هذا القيد ووسعنا ذلك وقلنا إن المعنى من التوجه نحو المشرق والمغرب هي العبادة الواحدة، فيكون بيانه تعالى إن البر الذي تسعون وراءه أو الذي أراده الحق تعالى لكم بما أودع في مكامن استعدادكم لا يتحقق بتوجه وجوهكم نحو جهات الأرض! بل يتأتى من المقدمات الاعتقادية والنتائج الفعلية لهذه المقدمات ثم يكون العطاء الحق من عنده تعالى ذكره وتقدس أمره. فالبر كما بينت الآية هو الإيمان بما ذُكر ثم الإنفاق من جنس المال بقيد على حبه، وحبه له ثلاث معان.

المعنى الأول: (على حبه): أي أن يكون المال محبوباً من قِبل الإنسان وليس مال مزهود فيه لقلته أو حقارته أو إدبار النفس عنه، إنما أن يكون لهذا المال عُلقة في نفس الإنسان من الإرادة والمحبة له لمكانته من قلبه. فلا تحقق على الحقيقة للإنفاق الموصل إلى البر بغير ذلك. وإن كان هكذا، فيكون وهو المراد الإلهي انه بإنفاقه لما يحب فضّلَ جهة الإنفاق وهي الجهة الإلهية على المنفق وهو المال.

المعنى الثاني: أن يكون «**على حبه**»: كما نطقت بذلك الأخبار

بمعنى على احتياجه لذلك المال فهو محتاج إلى ذلك المال وليس بفائضٍ عنه، والاحتياج هو إرادة والحب فرعها، فينفقه وهو محتاج إليه فيؤثر جناب الحق على جهة نفسه واحتياجها سواء كان توهيمياً أو حقيقياً ويقدم أمر الحق على أمر نفسه.

المعنى الثالث: أن يكون «**على حبه**»: على حب الله سبحانه وتعالى فالهاء تعود على الله تعالى. ويكون سبب الإنفاق هو حب الله تعالى المتمكن من قلب المنفق. واعلم: إن هذا الداعي للإنفاق هو أعلى وأكمل أنواع الإنفاق، فيكون حب الله أعلى من حبه لنفسه، ولا يعني هذا عدم حب الإنسان للمال بل حب الله تعالى أكبر في صدره من حبه للمال. عندها يكون الإنفاق، وإلا لو كان الإنسان يحب المال أكثر من حبه لله أو للمنزلة التي يرجوها فمن المستحيل أن ينفقه على جهة هي اقل استحقاقاً في نظره، لذلك كانت الاعتقاديات مقدمة للإنفاق، فالحب الإلهي من ضمن القلبيات لا الفعليات فتمكنه من قلب الإنسان يولد إرادة دافعة لتحقيق الأفعال والتي أقربها هو الإنفاق في سبيله.

والضرب الثاني من الإنفاق هو الإنفاق المعنوي، وقوامه الأعلى العلم والمعرفة بمراتبها الأولى. وذلك بنشره وتعليمه لطالبيه. بما في ذلك العلوم التي تحوي فوائد دنيوية أو أخروية أدت إلى نتائج

مادية أو معنوية. على أن تكون نية التعليم أو التثقيف بأي صورة هي النظرة إلى الجهة الإلهية دونما الجهات الأخرى؛ لان الإنفاق الحق ما كان لله تعالى وهو المؤثر في الإرادة الإلهية والمنفعل به النظام العام. وكلما كان العلم اعز في نفوس أهله وأقرب إلى قلوبهم كان الإنفاق منه أكرم في نظر الحق تعالى وبالتالي فيكون بلوغ البر مقيداً مستوياته بمستوى الإنفاق من جهة عمقه في النفوس والصدور. وأما إنفاق العلم الذي زهد به صاحبه ولا يجد حاجة إليه فهو من أدني مراتب الإنفاق وانه لا يدخل إلى البر بقيد القاعدة.

ومن ضروب الإنفاق مسامحة الآخرين ومغفرة أخطاءهم فان الإنسان يحب أن يتجاوز الحق والخلق عن أخطائه ويجد أحياناً صعوبة في غفران أخطاء الآخرين والتجاوز عنهم لصعوبة نتائج هذه الصفة على نفسه. فالإنفاق عن هذه الصفات بمغفرة أخطاء غيره يُعد من البر. وكذلك مما يحبه الإنسان ويبخل في إنفاقه هو الراحة الدنيوية واللذة الجسمانية والاستقرار والبقاء في حالة واحدة خوفاً من ضياعها. فيقدم الإنسان راحتهُ إنفاقاً في سبيل الله ويغير حاله طمعاً بما هو أوسع خيراً من ذلك.

وغير ذلك كثير بل كل فعل يقرب صاحبه من الحق تعالى هو بر ولا يمكن التقرب إليه إلا بالتخلي عما سواه.

قاعدة العهد

المدرك: قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾[1].

المفهوم: قلنا أن القواعد التبادلية هي قواعد عملية بنى النظام الإلهي بقسميه العام والخاص أثراً عليها سواء حين الفعل أو حين الترك والمخالفة، ومنها قاعدة العهد والتي نص الكتاب العزيز على التبادلية فيها فمن أراد أن يفي الله تعالى بعهوده فعليه أن يفي بعهود الله. فكان وفاء العهد من قبل الإنسان مقدمة لإتمام العهد الإلهي. لكن ما هو العهد الإلهي المطالب الإنسان بالإيفاء به والذي أكد عليه الحق في أكثر من مورد وشدد على الإيفاء به وقرن الكثير من عطائه بتمام ذلك العهد؟.

نقول: إن هنالك نصوصاً عديدة تُبين أن هنالك عهداً قطعه الإنسان لربه وكذلك هنالك عهد من قِبل الله تعالى للإنسان شريطة أن يفي الإنسان بعهده، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِي

(١) سورة البقرة / اية ٤٠.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [1]. فالظاهر من النص أن هنالك عهداً بعبادة الله تعالى وترك التزلف إلى الشيطان ومعرفة الصراط المستقيم. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [2] فيتبين من هذه الآية أمور أخرى منها قوله (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) أي من بعد القبول والاعتراف بهذا العهد من قبل بني آدم والشيء الآخر في قوله ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ فقد كان هنالك عهد بالمواصلة، والمواصلة تحتمل وجهين.

الوجه الأول: مواصلة العباد وذوي القربى بالخير والحسنى سواء فهمنا من مواصلة ذوي القربى ذوي قربانا أو قربى الرسول ﷺ.

والوجه الثاني: المواصلة في طريق الله تعالى أي مواصلته تعالى بالعبادة والذكر وعدم قطع هذه الصلة بقطع أسبابها بل وتمتين هذه الصلة بالعمل بأسبابها دون نقصٍ. كذلك اخذ علينا عدم الفساد والإفساد في الأرض سواء بالفساد الفعلي أو بفساد النوايا قال

(١) سورة يس / اية ٦٠-٦١.
(٢) سورة الرعد /اية ٢٥.

تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [1] أي بالأفعال المؤدية إلى فساد سرائرهم ظهر الفساد وانْ لم يكن منهم إفساد البحر فعلياً وذلك لترابط الأنظمة. وفي مورد آخر يقول جل وتقدس: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [2] فيظهر جانبٌ آخر من العهد وهو التضحية في سبيل الله بالنفس، وبطريق أولى يشمل ما دون النفس، إذن ومن ضمن العهد أن يضحي الإنسان بكل عزيز في سبيل الله وتحقيق أمره لذلك أثنى الله تعالى على هؤلاء بالصدق والإيفاء. ثم في مورد آخر يبين الله تعالى أهمية هذا العهد ويتوعد من ينقض هذا العهد أسوء أنواع العذاب في الدنيا والآخرة إذ يقول جلّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [3] وهذا غاية العذاب لأنه يوصل إلى غاية البعد عن الحق تعالى فلا يكلمهم الله بالهداية ولا ينظر إليهم بالرحمة ولا يزكيهم بالتطهير ولا نصيب لهم في الآخرة ومن كان حاله هذا فهو في عذاب اليم.

---

(١) سورة الروم / اية ٤١.

(٢) سورة الأحزاب /اية ٢٣.

(٣) سورة ال عمران /اية ٧٧.

فهنالك الكثير من الآيات التي تؤكد على هذا العهد وتتوعد ناقضيه بالعذاب المعجل والمؤجل.

والذي نفهمه من العهد من خلال القرآن وأهله عليهم السلام هو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [1] فالظاهر من هذا النص إن الله تعالى اخذ عهداً على بني آدم جميعاً في زمان ما وفي مكان ما، لم تصرح به الآيات وان كان قد ورد عن المعصومين عليهم السلام انه حدث في عالم يسمى بعالم الذر أو عالم الميثاق، رغم ذلك فان صورته غير واضحة لكن ما في أيدنا من خلال الظواهر إن في تلك العرصة اخذ الله عهد بني آدم بأن يعبدوه وحده وان يطيعوه في أوامره وينتهوا بنواهيه كما وضح في الآيات السابقة.

ومن المفروض عقلاً انه تعالى بين لهم كل أمر تعلقت به إرادته منهم وان كان مجملاً في القرآن. ثم كان قبول بني آدم لذلك العهد وتوثيقه، وزاد الحق تعالى بنقض الحجج التي من المتوقع

(١) سورة الأعراف/اية ١٧٢-١٧٣-١٧٤.

أن يحتج بها بنو آدم يوم القيامة على الله تعالى وهي الغفلة أي عدم التذكر وكذلك التربية أي إننا قد تربينا على ذلك فليس لنا علم بما تقول ﴿إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةَۢ﴾ أي أخذنا الإشراك عن آبائنا ولا نعلم ما هو التوحيد ولو كان آباؤنا موحدين لكنا موحدين!. فكان هذا العهد من القوة التمكين والتوثيق بحيث لا يؤثر فيه التربية الفاسدة ولا النسيان ولا غير ذلك، لكن يبقى إشكال مهم جداً. وهو إننا حقاً لا نذكر ذلك العهد ولا نعلم من تفصيله شيئاً؟! والله تعالى يقول انتم مطالبون به ومخالفة ذلك العهد هو بإرادتكم وليس بعدم التذكر وسوء التربية، علماً إننا نرى العكس فكيف الخروج من هذا الاشكال؟.

نقول: إنَّ العهد الذي أخذه الله تعالى علينا سواء أكان لفضياً أو غير لفظي إنما الأثر الموجود منه الآن وفي كل بني آدم هي الفطرة التي أودع الله تعالى بها توحيده وكل ملازمته من الأفعال الناقضة للعهد والموفية به. وكذلك تركيز أدلة التوحيد في عقل الإنسان التي يتوصل الإنسان بها إلى التوحيد إجبارا إن سار دون انحراف إرادي وألزم الحق تعالى هذا العلم ذوات البشر فجعله من لوازم العقل. بحيث لو تجرد الإنسان من الصفات النفسية والحجب الظلمانية لأنكشف له وظهر عليه.

والإنسان يولد على الفطرة وهي التوحيد فأما أن يسبب انحرافه عن فطرته بإرادته وذلك بالميول إلى الشهوات والملذات أو يكتسب من أهل الدنيا بميوله إليهم فينقض بذلك العهد الأول، وإما أن يجاري الإنسان فطرته ويستلهم من إيحاءاتها ويسير بخطها حينئذ يتبع الطريق الحق ويوفي بعهده تجاه ربه قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [1] لذلك لا يحتاج الإنسان إلى التذكر لكي يكون موحداً إنما بالالتزام لما في داخل الإنسان من التوحيد المودع في فطرته. وليس لأحد إجباره على عكس ما في داخله بل ليس لأي إنسان هذه السلطة إلا أن يريد هو ذلك ويميل بهوى نفسه إلى التفاعل مع آراء الآخرين سواء كان أبواه أو غيرهم. فعندئذ تسقط حجتنا بالغفلة أو التربية السيئة.

فيكون العهد الذي عاهدنا عليه الله هو التوحيد والالتزام بالأوامر الإلهية والتي ظهرت من الحيز الفطري إلى الحيز الفعلي وتمثلت بالإسلام الحنيف.

يبقى الطرف الأخر من القاعدة والذي من الظاهر انه معلوم فطرياً أي إن الله تعالى عندما اخذ عهدنا بين لنا عهده على ما اشتمل من عطائه والبعد عن عذابه قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا

(١) سورة الشمس /اية٧-٨.

قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (١).

فبين الله تعالى انه لا يريد لنا الخسارة لان الذي نكسبه جرّاء نقض العهد هو ثمن قليل جداً لا يستحق أن ينقض العهد من أجله، إنما ثمن عهدكم اكبر من ذلك وما عند الله جزاء إيفائكم عهدكم خيرٌ لكم من هذا الثمن القليل المتمثل بمنافع دنيوية زائلة ولذات نفسية مؤقتة، بل ما عنده خير لكم من كل ما تكسبون وما تتمنون أن يكون عندكم من رغبات نفوسكم وان علت أفكاركم عقولكم وان سمت وما في خيالاتكم، وهو ما لا تدركه العقول قيمة وسعة إن كنتم تعلمون مصلحتكم وما يضركم مما ينفعكم، وما عندكم من الربح الوهمي له أمد معلوم واجل محتوم فهو نافد لا محالة ، أما ما ادخره الله تعالى لكم وما يجلبه الإيفاء بعهدكم فهو عطاء ليس له نفاد مستمر باستمرار بقائه تعالى إذا يتصف بصفة الاستمرارية لانتسابه لله جل جلاله فله قابلية الدوام.

(١) سورة النحل/اية ٩٥-٩٦.

قاعدة التمييز

المدرك: قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1].

المفهوم: لو إن الإنسان اهتم بجانب الإيمان ودقق في أسسه وهو الكتاب العزيز والسنة الشريفة لتبينت له الثوابت التي أرساها الحق تعالى في نظامه التكويني التشريعي، وعرف من خلالها طرق التعامل مع الحق تعالى في ما يريده وما لا يريده، ولتقدم الإنسان خطوة على الصراط المستقيم. فالمفتاح لذلك هو زيادة الاهتمام بهذا الجانب. وفي الواقع ليس من جانب يستحقق اهتمام الإنسان أكثر من الجانب الإيماني الذي وجِد الإنسان وكُوِّن وصُوِّر من اجله. والإنسان إذا أراد ذلك أي تمتين العلاقة الحقيقية مع الله تعالى ومعرفة قواعد وأسس التعامل معه فسوف يفتح له ذلك ويبين طرق التعامل معه، فليست المسألة مستعصية حين التأسيس ثم الله لا يضيع عباده «**هيهات أنت أكرم من أن**

(١) سورة ال عمران / اية ١٧٩.

تضيع من ربيته»[1] بل إن معرفة القواعد والثوابت المركوزة في النظام الإلهي متوفرة لكل من أراد معرفتها والعمل بها لأجل زيادة إيمانه بالله تعالى.

ومن هذه القواعد والتي ما انفكت تلازم البشرية منذ أول نشوئِها إلى يوم القيامة، هي قاعدة التمييز، وهي قاعدة تصاعدية بتصاعد الإنسان وتنازلية بنزوله من أجل صعوده وتساميه.

والتمييز لغة كما ذكر أرباب اللغة هو الفصل بين المتشابهات. وقد وردت نصوص قرآنية كثيرة وأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد وتثبّت هذا الأمر وتبين إنه من السنن الإلهية والتي لها من الدور الكبير في إيصال البشر إلى ما يريده الحق تعالى. وقد ورد في الكتاب العزيز ألفاظ متعددة كلها تصب في التمييز تتبعاً وهي البلاء والاختبار والفتنة. وكما هو محقق عند أهل اللغة إن البلاء هو الاختبار أو هو مقدمة الاختبار والفتنة في أبرز معانيها هي الاختبار، قال تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[2] أي اختبرناك، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[3] أي اختباراً. ونتيجة الاختبار هو التمييز فيتميز الإنسان من خلال الاختبار بميوله إلى أحد طرفيه.

---

(١) مفاتيح الجنان دعاء كميل.

(٢) سورة طه/ اية ٤٠.

(٣) سورة الأنبياء/اية ٣٥.

والظاهر من مدرك القاعدة ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ أن مسألة التمييز مسألة ثابتة لا بديل عنها ولا محيل، بل هو الأسلوب الأمثل لإظهار ما في داخل الإنسان إلى ارض الفعل وتعميق الركائز الإيمانية وإزالة الركائز النفسية. فالبلاء والاختبار وبالتالي التمييز هو من ضمن العطاء الإلهي للإنسان وهو باب من أبواب التعامل الغيبي لأن الإنسان عندما يدرك إن هذا البلاء هو اختبار من الحق تعالى والحق ينتظر النتيجة للرد على هذا الفعل الإلهي سيكون هنالك وجه تعامل من الغيب وان كان لا يرى اليد التي أرسلت هذا البلاء لكنه يدرك أن ربه جلّ شأنه أرسل إليه هذا البلاء لأجل أن يزيد في درجاته بتعامله الصحيح مع هذا النازل.

فالظاهر من المدرك إن من القوانين الإلهية التي التزم بها الحق تعالى وألزم بها عباده هو ألا يترك المؤمنين وكل من ادعى الإيمان على حالهم الذي هم عليه - وربما هم فرحون به! - حتى يبين هذا الحال مصالحه من مفاسده وهل ما يعتقدون من إيمانهم هو صحيح؟ وله وقع في ارض الصعوبات؟ أم هو إيمان ذهني مجرد من الانعقاد القلبي؟ فليس من سبيل لمعرفة ذلك إلا بالاختبار، وإلا لو ترك الله العباد أو المؤمنين على حالهم وما يعتقدونه فسوف يضلون ضلالاً بعيدا، إذ ليس هنالك من منبه ومذكر ينبههم إلى

نقصهم في إيمانهم أو توهمهم في ما يعتقدون ويظنون بأنفسهم، لذلك رأينا وشاهدنا كثيراً ممن يتوهم الإيمان ويتوهم أنه في مَصَافّ المتقين لكن عند نزول البلاء لا يدركه إيمانه ولا ينفعه تقاه فيتصرف على عكس سجية المؤمن من الجزع والسخط والاعتراض، فيدرك من ذلك البلاء أن ظنه بنفسه هو محض وهم، لذلك بين الله تعالى إن سبب هذا البلاء هو لأجل تمييز الفساد من الصلاح والخبيث من الطيب «**حتى يَمِيز الخبيث من الطيب**» فبين لنا كذلك أن ليس كل من ادعى أو توهم الإيمان فهو مؤمن بل هنالك من يتوهم الإيمان وهو في واقعه خبيث!.

التطبيق: يمكن ان يُسأل التمييز لمن؟.

نقول: ليس لله قطعاً لأنه تعالى بكل شيء عليم وليس بالعلم العام إنما بعلم الإحاطة، فهو محيط علماً ليس بالشيء فقط بل محيط بكل جزئية من جزئيات الشيء، ولا يعزب عنه معرفة الطيب من الخبيث فلا يحتاج لا إلى تمييز ولا اختبار ولا غيرها. وإنما للتمييز جهتان:

الأولى: هم العباد. فيميز الله تعالى العباد للعباد لكي يعرفوهم فلا يتبعوهم بكل صيحة أو يأخذوا بنصائحهم ويغتروا بهم.

وكذلك من تبين له نقص مؤمن وجب عليه النصح فربما أخوه لا يرى هذه النقص.

الثاني: هو إن التمييز لأجل المبتلى وهذا هو الوجه الأساسي من التمييز. فالمفروض إن التمييز يبين للمؤمن الذي وقع عليه الابتلاء محاسنه ومفاسده وحقائقه ودعاواه فيعمد إلى النقص بسده، ويعمد إلى الكمال بشكره، فالفائدة الكبرى من هذا التمييز هي للمؤمن.

واعلم: إن هذا النظام ليس خاصاً بالمؤمنين بل بالفاسقين وغيرهم بطريق أولى إنما ذكرت الآية المؤمنين لتبين أن المؤمنين ليسوا بمنأى عن التمييز؛ لأنهم مؤمنون بل هنالك درجات للإيمان لا ينالها المؤمنون إلا بعد استقرار درجة الإيمان السابقة قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1].

وكذلك فان مسألة التمييز والاختبار لا تقتصر على مستويات معينة إنما هي تصاعدية مع تصاعد الإنسان وتساميه لذلك نرى أعلى مستويات البشرية وهم الأنبياء مروا باختبارات كثيرة وتميز لهم حالهم في مستويات ما فوق عصمتهم ومن ذلك ما ذكر

(١) سورة الانعام /اية ١٦٥.

الكتاب العزيز من بعض التفاتات سليمان النبي عليه السلام قوله : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾[1] فتتوضح لنا هنا صورة تعامل النبي مع العطاء الإلهي وقوة نباهته للاختبارات الإلهية بحيث لم يؤثر الفرح بالعطاء على رؤية الابتلاء ولم يحجبه الحضور المادي وهو العرش عن الحضور المعنوي وهو الإرادة الإلهية. فينظرون إلى كل منع أو عطاء بل الى كل فعل ألهى ينظرون السبب منه والغاية فتكون ردود أفعالهم على أساس الغاية من ذلك الفعل لذلك نراهم متصاعدين ومتمكنين في سلم الإيمان، فأسقطوا الأسباب ونظروا إلى مسبب الأسباب فلم يشكر سليمان الذي عنده علم من الكتاب إنما شكر الله سبحانه.

وان للتمييز والاختبار المساحة الكبرى في حياة الإنسان وان غفل أو تغافل عن ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«ما من قبض ولا بسط إلا ولله فيه المن والابتلاء»**[2] أي إن كل ما يمر على الإنسان فيه ابتلاء واختبار من الله تعالى وذلك لان كل ما يسببه الله تعالى للإنسان من عطاء أو منع أو اخذ فان إزاءه فعل من الإنسان

(١) سورة النمل/اية ٤٠.

(٢) ميزان الحكمة / باب الابتلاء حديث ١٨٨٥.

وهو إما الشكر أو الاستغفار أو التفكر أو التوكل فيما يعجز الإنسان عنه أو غيره من ردود الأفعال الإيمانية.

يبقى هناك إشكال ربما يشكل به الفرد وهو: إن الله تعالى اوجب على الإنسان واجبات وحرم عليه محرمات وجعل الجنة لمن التزم أمره، فمالنا والابتلاء والتمييز؟.

نقول: إن الله تعالى عندما خلق الإنسان خلقه لأجل غاية كبرى والمتمثلة بالخلافة قال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] فالغاية هي الخلافة وأما الجنة فهي عطاء منه سبحانه إنما المراد الإلهي هو أن يتصف الإنسان بالصفات العليا ويتخلق بالأخلاق التي تؤهله لكي يكون خليفة لمنتهى الأخلاق وغاية كمال الصفات سبحانه وتعالى، وقد أوجب الله تعالى للإنسان مقدمات على أساس تلك الغاية وألزم صفاته بتقديم ما هو الأصلح لهذا الخليفة ومن ذلك نظام الابتلاء. وحتى على صعيد نيل الجنان فان الجنان درجات رفيعة ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾[2]، وان مزالق الدنيا وغواية النفس ووسواس الشيطان لا تبقي لصاحب الإيمان الداني حظ في نيلها.

---

(١) سورة البقرة/ اية ٣٠.

(٢) سورة غافر / اية ١٥.

ومن المعلوم إن التمييز هو لأجل إظهار ما في الصدور إلى ارض الواقع قال الإمام علي عليه السلام في قوله تعالى : ﴿أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾[1] قال: «**ومعنى ذلك انه سبحانه يختبر عباده بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من أنفسهم ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحقون الثواب والعقاب**»[2] فيكون الابتلاء هو الداعي لظهور قوة الإيمان وضعفه من خلال الأفعال وان ظهور ما في مكمن الإنسان إلى ارض الفعل يعطي القابلية على التغيير والرؤية الواضحة لما في داخله فيقدر من خلالها على التثبيت لما هو صالح في نفسه والتغيير لما هو فاسد. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**البلاء زين المؤمن وكرامة لمن عَقِلَ لان في مباشرته الصبر عليه، والثبات عنده تصحيح نسبة الإيمان**»[3]. «**وكرامة لمن عقل**» لأنه يحرك الإنسان من بعد السكون ويدفع للمسير المؤدي إلى زيادة نسبة الإيمان العاصمة صاحبها من الوقوع في مهالك الأخطاء في مستواه.

---

(١) سورة الانفال /اية ٢٨.

(٢) ميزان الحكمة / باب الابتلاء حديث ١٨٩٠.

(٣) ميزان الحكمة / باب الابتلاء حديث ١٩٢٨.

أما عروض التمييز للإنسان فانه يشمل كل جوانبه سواء الفعلية أو الاعتقادية ومنه الصعوبات بأداء الطاعة المؤدية إلى تقوية الإرادة العبادية وتضعيف الإرادة النفسية، وكذلك تقريب الحظوظ الدنيوية والملذات النفسية من الإنسان وسهولة نوالها قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ....﴾[2] وهم في اشد الرغبة النفسية لذلك.

وكذا التمييز ألاعتقادي حيث يبتلي الله ما في صدر الإنسان من الاعتقادات والأفكار حتى يبين صلاح هذه الأفكار أو فسادها المؤدي إلى التمسك بصالحها والتجرد عن فاسدها.

والمحصل من ذلك: هو الالتفات إلى نظام التمييز وأخذه بعين الجد والنظر إلى أطرافه والتعامل الصحيح مع مقدماته من البلاء والفتنة، وان أول خطوة صحيحة للالتفات هو أن لا تنسب الفعل إلى الأسباب الطبيعية فتغفل عن الاختبار وإنما وراءها إرادة إلهية تتوقع منك ردة الفعل الأصلح في الاختبار، والوقوف على

(١) سورة المائدة /اية ٩٤.

(٢) سورة البقرة /اية ٢٤٩.

ما يُظهره لك التمييز ثم العمل على إزالة الفاسد مما ظهر. وإلا فان الاختبار والتمييز مستمر وكلما ارتقى المرء كان الاختبار أدق وكان الجزاء أكبر وأعظم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**كلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل الا ترون إن الله سبحانه اختبر من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله الله للناس قياماً...؟ ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المَجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجا للتكبر من قلوبهم وإسكانا للتذلل في نفوسهم، وجعل ذلك أبواباً فُتّحاً إلى فضله وأسباباً ذُللاً لعفوه**»[1].

(١) ميزان الحكمة /باب الابتلاء حديث ١٨٩٥.

قاعدة الجهاد

المدرك: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

المفهوم: الظاهر من خلال مدرك القاعدة إن الله تبارك وتعالى جعل من الجهاد سبباً لبلوغ السبل الإلهية عامة دون تقييد سواء في الدنيا أو الآخرة. فما هو الجهاد وما هي السُبل؟.

الجهاد كما حققه أهل اللغة: هو بذل الطاقة والجهد وتحمل المشقة من اجل تحقيق شيء ما، والجهاد تارة يكون خارجياً وأخرى داخلياً، والخارجي تارة يكون مادياً كقتال المفسدين في الأرض والذين يريدون إطفاء كلمة الحق، لأجل إعلاء كلمة الحق وأخرى يكون معنوياً كالأمر بالمعروف وتعليم الجاهل وغيره.

فأما الداخلي منه: فهو جهاد النفس للتخلص من سيطرتها وقمع شهوتها. والأول يسمى بالجهاد الأصغر كما اصطلحوا عليه والثاني هو الجهاد الأكبر. ومراتب الجهاد ومواطنه كثيرة

(١) سورة العنكبوت /اية ٦٩.

سواء على صعيد الجهاد الأكبر أو الأصغر، وحين التحقيق يرجع الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر بل هو فرع من فروعه، وذلك لان الجهاد الأصغر والذي من أوضح صوره هو جهاد المفسدين والمنحرفين فإن الإقدام على هذا الجهاد يحتاج أن يكون للإنسان مستوى من مستويات السيطرة على نفسه وقطع بعض تعلقاتها بالدنيا وترويضها على ذلك الفعل؛ لان النفس بطبعها ضد كل عمل إصلاح أو صلاح وكذلك فان من طبعها حب البقاء، والإقدام على القتال او ما هو بمستواه هو مخالفة لرغبات النفس الدنية، ولا يقدم على هذا الفعل إلا من وطن نفسه على ذلك بالجهاد الأكبر أي قمع شهوات ورغبات النفس بحب الحياة الدنيا والتعلق بأسبابها، وإلا فمن كان له تعلق بالدنيا وطاعة لنفسه فيها فلا يخرج للجهاد إطلاقا. حينئذٍ يكون الجهاد الأصغر مبنياً على الجهاد الأكبر والدافع لتحقيق الجهاد الأصغر هو الجهاد الأكبر.

أما بالنسبة للسبل التي يبلغها المؤمن بجهاده فالظاهر إن لكل باب من أبواب الجهاد سبيله الخاص به.

والسبيل: لغة هو الطريق ويستعمل لكل ما يتوصل به إلى شيء خيراً كان أو شراً.

وفي الآية الكريمة خص الحق تعالى السبل بما نسبه إلى نفسه وقال «سُبُلَنَا» وهي تحمل عِدة معاني:

أولاً: السبل هي طرق الجنان ومراتبها. فان للجنان ومراتبها طرقاً عدة كلها مبنية على مرضاة الله تعالى وغالباً ما يكون الإنسان في غفلة عنها.

ثانياً: هي طرق الرضوان والتي هي أعلى من الجنان قال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ﴾[1] فهو أكبر من الجنان بكل ما حوت وليس الرضوان الإلهي كلمة! بل هي مراتب في جنات الصفات خُصت بأهلها.

ثالثاً: إن السبل التي يهدي الله إليها المجاهدين هي سبل محبة الصلاح وبغض الفساد ببذرة يبذرها الله تعالى في قلب المجاهد.

رابعاً: من هذه السبل هي سبل الخلاص من تأثير الشيطان وهواجس تزينه، فيلهم الله المجاهدين في الله تلك السبل.

خامساً: سبل ذكر الله تعالى، والهداية الإلهية ليست كشفاً وبياناً معرفياً فحسب وإنما توفيق وإعطاء دافع للذكر وإزالة كل الموانع عنه.

---

(١) سورة التوبة /اية ٧٢.

سادساً: سبل التفكر في الملك والملكوت وهي السبل الفعلية المؤدية إلى ارفع المقامات والمنازل.

سابعاً: سبل الإيمان وهي شعبه كما ورد إن للإيمان سبعين شعبة وكما أوضحنا يهيئ الله تعالى عبده المجاهد لتقبل هذه المراتب والعمل بها بأيسر ما يكون.

ثامناً: سبل التوحيد الحق الخالص والخروج من التوحيد الساذج ودخول مدارج التوحيد المعمق. وكثير من السبل الموصلة إليه جل جلاله ورضوانه. لكن كل ذلك لا يتحصل إلا بالجهاد فيه؛ لأنه تعالى بين المقدمة وهي ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾[1] أي في الله لذلك أصبحت النتيجة ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[2] أي سبل الله تعالى ففيها تعادلية وإلا فمن يجاهد في غير الله فسوف يهديه الله سبل ذلك الغير فتفطن.

التطبيق: قلنا فيما سبق إن الجهاد قسمان:

القسم الأول : الجهاد الخارجي والمتمثل بنصرة دينه وتثبيت كلمته ودفع كل ما يؤدي إلى البعد عن ذلك، وأوضح مصاديقه هو جهاد المفسدين والمنافقين، وقد اوجب الله تعالى هذا الجهاد على

(١) سورة العنكبوت /اية ٦٩.
(٢) سورة العنكبوت /اية ٦٩.

المؤمنين كافة إلا من خرج بعذر كأولي الضرر وغيرهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1] فهذا هو القسم الأول من الجهاد والذي جعله الله تعالى اقصر طرق الجنة وأسرعها قال الرسول الأعظم: «**السيوف مفاتيح الجنة**»[2] ولا يتهيأ هذا الجهاد إلا لمن جرده الله من التعلق بحطام الدنيا وأودع في قلبه الشجاعة اللازمة لذلك فليس كل من أراد الجنان اقبل على الجهاد وان كان صاحب إيمان وورع إنما كما قال الأمير عليه السلام: «**إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه**»[3].

ويعتمد هذا الجهاد على ركائز أساسية يجب أن تتوفر في المؤمن المريد للجهاد منها:

أولاً: أن تكون نية جهاده خالصة لله تعالى من شوائب الغيرية أو المصالح الدنيوية كالرفعة والغنائم والثناء وغيره فان هذه الشوائب تخرج الجهاد عن مؤداه الحقيقي.

ثانياً: قوة القلب المستفادة من عمق الهدف المُجاهَد من اجله والمعطي لقوة العزيمة والإرادة، وإلا فبدون ذلك يكون مصداقاً

---

(١) سورة التحريم / اية ٩.

(٢) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٦٨٦.

(٣) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٦٦٥.

لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[1] والعدة لا تقتصر على العُدة المادية بل المعنوية أهم من المادية كما ذكرنا وما سوف نذكر.

ولمّا كانت حالهم هذه من ضعف الهمة وغشاوة الهدف، أمسى خروجهم مفسدة فانزل الله تعالى التثاقل في نفوسكم وزادهم غشاوة على قلوبهم فاستثقلوا الخروج وبالتالي «**اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**».

ثالثاً: الاطمئنان للعواقب وأعلاها هو القتل فيكون قلبه مطمئناً للوعد الإلهي وما أعده الله تعالى للشهداء من جزيل عطائه ووفير نعمائه فينظر إلى ذلك بعين اليقين الداعي للحرص على الموت أكثر من الحرص على الحياة.

رابعاً: عدم الالتفات إلى مخلفاته من الأهل والمال والولد وغيرها من العطاء الأدنى، وذلك بان يوكل بهم من يقوم بحقوقهم على أحسن الوجوه والله خير وكيل فيخلف الله على ماله وأهله، فيولد له ذلك اطمئنان قلبه وسكون نفسه.

---

(١) سورة التوبة / اية ٤٦-٤٧.

وكذلك من الجهاد الخارجي جهاد المنحرفين والفساق من المسلمين والمتمثل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو كذلك يحتاج إلى جهد خارجي وآخر داخلي من التخلي عن الخوف والتجرد من حب إرضاء الناس بل يؤدي أحياناً إلى الأذى وأحياناً إلى التضحية بشيء من دنياه. وهو أدني من الجهاد الأول حسب الترتيب يقول الأمير عليه السلام: «**ما تقلبون عليه من الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قُلِبَ فجعل أعلاه أسفله**»[1] والجهاد اللساني أو القلبي يدل على صلاح سريرة الإنسان.

أما ترك الجهاد القلبي وهو أدنى مراتب الجهاد فإنه يولد مفسدة، وذلك؛ لأن الاستنكار القلبي للمنكَر هو إبعاد ذلك المنكَر عن ساحة القلب لأنه آخر مراحل الدفاع عن قلب المؤمن فان لم ينكره أثرَّ في قلبه فان توالت المنكرات ولم ينكرها استساغها القلب عندئذ يُقلب القلب فيرى إن لا بأس في المنكر. فالجهاد القلبي ليس من اجل الإسلام ولا من اجل الله تعالى وإنما هو من اجل حفاظ المجاهد على إيمانه هو لا غيره.

---

(١) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٦٩٨.

أما القسم الثاني من الجهاد: وهو الجهاد الداخلي: هو الأكبر عند الله تعالى والأعظم أجرا والأبلغ نتيجةً، قال في حديث المعراج في صفة أهل الخير وأهل الآخرة: «**يموت الناس مرة ويموت احدهم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم والشيطان الذي يجري في عروقهم**»[1]، ويتمثل هذا الجهاد بجهاد النفس الأمارة وقمع أهوائها وكبح شهواتها وإهمال مطالبها وكذلك مخالفة التزيين الشيطاني وعدم الالتفات إلى وسواسه، فينال بذلك المرء منتهى الغايات وتفتح له أبواب السماوات وتنزل على قلبه مفتاح الحكمة ويزداد قرباً لربه جل وعلا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]، وقال جلّ وعلا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]. وقد ورد حث شديد من قبل أهل البيت عليهم السلام على هذا المفهوم إلى درجة إن ما روي عنهم في جهاد النفس أكثر مما روي في جهاد المفسدين ومن ذلك قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الجهاد**

(١) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٧٥٦.
(٢) سورة النازعات / اية ٤٠-٤١.
(٣) سورة ال عمران / اية ١٤٢.

أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله»[1]؛ لان كل أقسام الجهاد تعتمد على مغالبة النفس وترويضها على قبول الجهاد ولا يكون ذلك إلا بمجاهدة النفس ومخالفة أوامرها.

وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحِلَّ قلوبكم الحكمة**»[2] وقوله عليه السلام: «**جاهدوا أنفسكم بقلة الطعام والشراب تظلكم الملائكة ويفر عنكم الشيطان**»[3] لان البطن إذا جاع في سبيل الله تنور القلب بنور الله. وقد شدد الإمام علي في ذلك إذ يقول عليه السلام: «**ينبغي للعاقل أن لا يخلو في كل حالة من طاعة ربه ومجاهدة نفسه**»[4] وحقيق أن يكون هذا الكلام للعاقل فحسب!.

واعلم، إن الجهاد الأكبر يكون على مستويين:

المستوى الأول: هو الجهاد على المستوى التشريعي: ونقصد به مجاهدة النفس لأجل أداء الواجبات واجتناب المحرمات، فان غاية النفس هو النزول بالإنسان إلى عالم الفساد والمحرمات بتحقيق رغباتها وشهواتها عن طريق رسل خواطرها وخيالاتها

(١) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٧٥٠.
(٢) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٧٦٧.
(٣) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٧٦٨.
(٤) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٧٣٤.

الفاسدة وانصياع الإنسان إلى إرادة النفس يؤدي به إلى البعد عن جهة الحق وعصيان كل أمر ألهى، بل إن كل عصيان يصدر من الإنسان سببه النفس الإمارة بالسوء وليس الشيطان إلا مساعد لأهواء النفس ومزين لرغباتها، لذلك ترى التثاقل النفسي في أداء العبادات وصعوبة في اجتناب المحرمات. وبما إن الله تعالى اوجب على الإنسان عبادته بأداء أوامره واجتناب نواهيه إذن اوجب جهاد النفس في ذلك؛ إذ لا طاعة إلا بمعصية أي لا طاعة للحق إلا بمعصية النفس إذ إرادة النفس على عكس إرادة الحق وذلك من المصالح المهمة لوجودها قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[1].

نبلوكم بوجود النفس الأمارة بالسوء لنعلم بصدور الأفعال منكم، وظهور المجاهدين لأنفسهم منكم والصابرين على طاعة الله فيما أراد منهم. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما عرض له أمران إلا اخذ بأشدهما**» أي أشدهما على نفسه.

المستوى الثاني: هو الجهاد الإيماني. وهو جهاد النفس في مراتب فوق الواجبات والمحرمات، والمستفاد منه الرقي

(١) سورة محمد / اية ٣١.

في درجات الإيمان وزيادة القرب من الحق تعالى والبعد عن عالم النفس والفساد وبالتالي الترقي في منازل الآخرة. ومحل ذلك هو المباحات فينظر في كل أفعاله وتصرفاته إلى ما تهوى نفسه فيخالفها ويروضها ويجاهدها لفعل ما لا تريد لأنه كما قلنا إن النفس تنجذب إلى الجهة السفلية وان الحق تعالى وعدنا الجنة بمخالفة أهواء النفس فتكون المخالفة لا لان النفس هي نفس أنما طاعة لله تعالى وتزلفاً إليه. قال الإمام الباقر عليه السلام: **«لا فضيلة كالجهاد ولا جهاد كمجاهدة الهوى»**[1] وقال عليه السلام: **«إن المؤمن معنيٌّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها. فمرة يقيم أوَدَها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها، فينعشه الله فينتعش ويُقيل الله عثرته فيتذكر»**[2].

واعلم إن هذا الجهاد هو أصعب أنواع الجهاد لان للنفس دخلاً في اغلب أفعال الإنسان بل حتى بعض الأفعال العبادية لا تخلو من تدخل النفس لكي تفسدها تارة بالرياء وأخرى بالعجب وأخرى بحب الظهور وهلم جرا. لذلك يصعب على الإنسان

(١) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٧٤٧.
(٢) ميزان الحكمة / باب الجهاد حديث ٢٧٣٨.

أن يجرد نيته لله تعالى مع وجود نفس قوية. لذا فان مجاهدة النفس توصل إلى كسر شوكة النفس والتحرر من أدناس النفس ومصالحها الدنية.

عند ذلك يستحق المؤمن أن تفتح له سبل الله تعالى؛ لأنه أصبح بالطهارة الملائمة لدخول حضرة صفاته.

قاعدة الظن

المدرك: قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1].

المفهوم: من خلال مدرك القاعدة يتبين إن الله تعالى جعل هنالك نتائج وجزاء على أساس الظن سواء الظن السيئ أو الظن الحسن به جل جلاله. فعدّ سوء الظن به من المعاصي المعنوية الموجبة لعقابه وحسن الظن من العبادات المعنوية القلبية والتي تستحق جزاءه سبحانه. ومن هنا نرى الترقي بالمؤمنين في مستويات العبادة فيجذبهم الحق تعالى إلى ساحته من خلال هذه المعاني ويغلق عليهم أبواب النزول بوعيده.

والظن: كما قال الراغب في مفرداته: هو اسم لما يحصل عن إمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حدها الوهم.

---

(١) سورة الفتح / اية ٦.

إذن هو حصول شيء في القلب تجاه أمر أو شيء معين سواء كان هذا الأمر داخلياً أو خارجياً. وما يحصل في القلب يتفاوت قوة وضعفاً على حسب تجريد النظرة والمنظور.

والوارد في الكتاب العزيز من الظن يقع على معنيين إجمالاً وهما: اليقين قال تعالى ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾[1] أي قطعوا يقيناً بأنهم داخلوها وذلك لرؤية المقدمات بوضوح الموصلة إلى السكينة القلبية بحصول النتيجة.

والمعنى الأخر: هو التوهم، قال تعالى عن لسان المنكرين ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2] وهذا من التوهم أو الإيهام النفسي لهؤلاء المنكرين، وما كانت مقدماته وهميه فنتائجه اشد وهماً. وبما إن للظن نتائج اعتقادية وفعلية تساهم بوصول الإنسان إلى الصلاح أو الفساد، فمن الظن ما يساهم بتطهير الفرد من اللوث والشوائب الدنيوية ويبعده عن أهوائه وهو حسن الظن ويضاده سوء الظن ولهما موردان:

المورد الأول: هو الخلق: فيتعامل الفرد بحسن ظنه أو سوئه مع أفراد جنسه وقد حث الإسلام على حسن الظن وجعله من اللوازم

(١) سورة الكهف / اية ٥٣.
(٢) سورة الأعراف /اية ٦٦.

الإيمانية التصاعدية، وهذا القسم ليس محل كلامنا لخروجه عن مدرك القاعدة.

المورد الثاني: هو الظن بالله تعالى سواء ما كان منه السيئ او الحسن.

التطبيق: اعلم إن نيل رضوان الله تعالى والوصول إلى سبيل جنانه والتدرج في مراتب قربه لا يقتصر على العبادات الجسمانية بل الواجب أن يجمع الفرد بين العبادات الجسمانية والعبادات الاعتقادية. والمفروض أن تفتح العبادات الجسمانية باب العبادات الاعتقادية بالمعنى الأخص، ومنها التعامل مع الله سبحانه على حسب ما يبينه من صفاته والتي كان سبب اتصافه بها هو سد كل ما يحتاجه عباده وإلا فهو الغني عن صفاته وعن خلقه، ومن ذلك باب العطاء الظني الذي فتحه الله تعالى لنا بمنته وكرمه. وهو بناء وترتب الأثر الإلهي على ثقة الفرد المؤمن بالله تعالى فكل من حسن ظنَّه بربه في عطاء أو منع آتاه الله تعالى ذلك، وقد روى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى قال : «**أنا عند ظن عبدي إن خيراً فخير وإن شراً فشر**»[1] وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**أحسنوا الظن بالله فان الله عز وجل يقول : أنا عند ظن**

(١) الأوسط للطبراني.

عبدي المؤمن بي إن خيراً فخير وان شراً فشر»[1] فيبين لنا الحق تعالى من خلال هذه النصوص انه يجاري عبده في ظنه في كل شيء في العطاء وفي المنع في المغفرة وفي العذاب في القرب وفي الابتعاد في كل ما يريده الإنسان.

فمن كان ظنه وثقته بالله من انه سيغفر له ذنبه فان الله عند حسن ظنه، ومن ظن من الله عكس ذلك فهو ملاقيه، والظن هو سكون النفس على أمر ما. وهذا الباب هو رحمة فتحه الله تعالى للمبصرين والتزم به سبحانه قال الرسول الأعظم: «**والذي لا اله إلا هو، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاه فأحسنوا الظن بالله وارغبوا إليه**»[2]. ومن قوله عليه السلام: «**إن الله يستحي أن يكون عبده المؤمن...الخ**» يظهر إن هذا من ضمن أخلاق الله سبحانه، فهو التزام أخلاقي من جهة الله تعالى. فمن أراد شيئاً من ربه تعالى فله أن يطرق هذا الباب وليس عليه إلا أن يحسن الظن بربه تعالى من انه سوف يعطيه ما أراد ولا يرده خائباً. وليس

(١) ميزان الحكمة / باب الظن حديث ١١٥٨٠.
(٢) ميزان الحكمة / باب الظن حديث ١١٥٨١.

في حسن الظن توهم إطلاقا؛ لان الله تعالى قادر وبيده خزائن كل شيء، ولا يحجب الإنسان عن عطاء ربه إلا سوء ظنه وغفلته، ومن ساء ظنه بالله فقد ظلم نفسه إذ حجبها عن نعمة أعدت لها وكذلك فقد ظلم ربه؛ لأنه نسب إليه ما ليس فيه قال الرسول ﷺ: **«أكبر الكبائر سوء الظن بالله»**[1] وقال الأمير عليه السلام: **«سوء الظن بالمحسن شر الإثم وأقبح الظلم»**[2].

ودافع الظن في نفس الإنسان متأتي من رسم صوره في الذهن لشخص ما، معتمدة قطعاً على مقدمات في تكوينها فعلية أو صفاتية فمن خلال ما يجد الإنسان من شخص ما من حسن أفعاله وطيب أخلاقه وكمال صفاته فيرسم صورة في قلبه عن ذلك الشخص، فان كانت هذه المقدمات ناقصة أدت إلى صورة ناقصة أدت إلى نتائج فعلية ناقصة وربما يقع الظلم في ذلك لهذا نرى من الشريعة المقدسة التأكيد على أن يجد المؤمن لأخيه العذر في كل أفعاله وأن يحمله على أكثر من محمل لكي لا يستقر قلبه على صورة سيئة لأخيه. وكذلك هو الحال في التعامل مع الحق جل جلاله. والمفروض بما إن الله سبحانه هو الخير المطلق والكمال المطلق فليس من فعل الهي

(١) ميزان الحكمة / باب حسن الظن حديث ١١٥٨٥.
(٢) ميزان الحكمة / باب الظن حديث ١١٥٥٢.

يكون مؤسساً لسوء ظن العبد بربه بل لو تتبع الإنسان بعض أفعال الحق وأخلاقه لوجب عليه لزاماً حسن الظن بربه بل يقيناً لا يخالطه شك ولا شوب واقل ذلك إن الحق أعطاك ما تريد وكل ما تحتاج ولا يريد منك شيئاً إطلاقا حتى عبادتك لله هي لك وليست لله ولو علم الله إن لا فائدة لك في عبادته لما أوجبها عليك بل لما وهبها إليك، وحتى ما نتوهمه حين نشكر الله على نعمائه على إننا قدمنا الشكر لله تجاه تلك النعمة فهو وهم محض بدليل قوله: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[1] أي إن هذا الشكر هو لك سواء جُعل ثواباً أو مرتبة أو غيرها، فلا يصل إلى الله تعالى شيء من شكرك ولا شيء من أفعالك بل أكثر من ذلك يقول الإمام الحسين في دعاءه **«وأنت الوهاب ثم لما وهبت لنا من المستقرضين»**[2] لماذا يهبك عطاءً ثم يستقرضه منك؟ هل خزائنه نفدت! كلا، وإنما تقدست آلاؤه يطرق كل باب يجد فيه مصلحة لعباده، يعطيك ثم يستقرضه منك لأجل أن يكتب لك ثواب الصدقة ليس أكثر من ذلك، بل ما هو أكثر من ذلك ما أوضحه الإمام الصادق بما معناه: **«إن العبد ليذنب ذنباً فيُعجّل الله له العقوبة في الدنيا ثم يغفر له ذلك الذنب**

---

(١) سورة لقمان / اية ١٢.

(٢) مفاتيح الجنان / دعاء الامام الحسين يوم عرفة.

ويجعل العقوبة بلاءً فيعطيه جزاء ذلك البلاء!»[1] والأكبر من ذلك هو التسبيح الوارد عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: «**سبحان من انعم وشكر**»[2] فمن كانت هذه أخلاقه وصفاته فهل هنالك مجال لسوء الظن به؟! وإذا كان سوء الظن بمن هذه أخلاقه. فبمن نحسن الظن؟!.

إذن من يظن بالله تعالى ظن السوء يستحق أن تغلق عليه دائرة السوء ويتردى فيها دون خروج.

وظن السوء بالله تعالى هو نسبة كل ما لا يليق بالله إليه قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3].

هذا الظن ناتج من التهاون والاستخفاف وليس من الجهل إنما من تسويلات النفس الأمارة فنسبوا إلى الله ما لا يليق به وما لم يتصف به فكان هذا الظن السيئ هو الذي أهلكهم وجعلهم مترددين في ظلمة نفوسهم ومفاسد معتقداتهم وبالتالي فهم من الخاسرين.

---

(١) كتاب التمحيص للإسكافي.

(٢) مهج الدعوات.

(٣) سورة فصلت / اية ٢٢-٢٣.

وقد نسب الله تعالى الهلاك أو الإرداء إلى نفس الظن ولم ينسبه إلى نفسه والوجه في ذلك إن من يظن إن الله لا يعلم كل ما يفعل أو يظن إن الله لا يحاسب الإنسان على كل شيء سيكون ظنه هذا دافعاً له في ظلمات الفساد وذلك لارتفاع المانع ؛ لان الحق تعالى عندما عرّف نفسه لعباده وعرّفهم انه عالم بكل شيء، أصبح ذلك البيان قيداً لتقيد النفس عن الولوج في المعاصي والتعدي على حدود الله تعالى - أو هكذا يفترض أن يكون - فان استطاعة النفس أن توهم الإنسان بفك ذلك القيد فسوف تتحرر فتسارع إلى التردي والفساد فتجعل صاحبها من الخاسرين.

وهناك بعض الأسباب المؤدية إلى حسن الظن ومنها:

أولاً: معرفة صفات الله سبحانه؛ إذ إن كل تعامل يعتمد على معرفة مسبقة، وبدون معرفة لصفات الله وأخلاقه التي يتعامل بها مع البشر سيؤدي إلى ظن ناقص أو إلى حكم ناقص فيحتاج الفرد أن يعرف شيئاً عن هذا الرب العظيم وبما إن الغاية هي التقرب إليه وجب عقلاً معرفة طرق التقرب سواء الفعلية أو الاعتقادية وهذه المعرفة تارة تؤخذ من النوازل الإلهية الخارجة كالكتاب الكريم أو رسل الرب العظيم الذي جعلهم الله تعالى خلفاء له في خلقه فهم ينقلون أوضح صورة معرفية لله سبحانه وتعالى وتارة تؤخذ من

النوازل الداخلية الناتجة من التفكر بالآيات الإلهية وما ينزله الله على قلوب العباد.

ثانياً: اليقين بالله تعالى. وذلك أن يكون لدى الفرد المؤمن مستوى من اليقين والذي يأتي من معرفة الصفات. ومؤدّى هذا اليقين هو أن الله تعالى يحقق ظن عبده ولا يحجبه شيء عن ذلك.

ثالثاً: تعلق الإرادة بالله وحده. دون ضميمة إشراك غيره من الأطراف كمن يعتمد على الله في شيء ويحتمل أن يأتي من جهة أخرى فان مثل ذلك هو توزع الإرادة على عِدة متعلقات. فان توحدت الإرادة تعلّقاً بالله حسن ظن الإنسان بالله بسبب ما يراه من بوادر إلهية داعية ومحققة لحسن الظن وتثبيته.

رابعاً: عدم الالتفات إلى الخواطر النفسية والتي من شأنها أن تضعف حسن الظن والثقة بالله تعالى ومثالها أن الله لا يستجيب لك، أو من تكون أنت حتى يحقق الله لك ذلك، أو إن ذنوبك كثيرة والله لا يستجيب للمذنبين وغيرها.

خامساً: تجنب الاعتماد الكلي على الأسباب؛ لان ذلك يؤدي إلى الثقة العمياء بالأسباب وبالتالي يضعف جانب الثقة بالله تعالى، بل تعتاد النفس على التعامل مع الجهة الدنيا.

قاعدة البقاء والنماء

المدرك: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[1].

المفهوم: بما إن للأفعال أثراً من حيث الترابط القائم في دائرة الوجود، أصبح كل أثر يعتمد في عمقه في دائرة الوجود على الفعل المعتمد على مولداته. ومن المجهول لدى الإنسان تفاوت آثار الأفعال في عوالم المادة وعوالم المعنى ولا يميز بين الأفعال طولاً وقصراً في تلك الدائرة. وكذلك إن من الأفعال من يكون لها تسلسل أثري سواء كان بتجديد الدافع أو نفس الدافع الأول والإنسان يجهل ذلك ولا يفرق بين هذه الأفعال إلا على سبيل الأثر المادي. وبما إن الحق تعالى جعل الأفعال البشرية من أسس التكميل في النظام العام من خلال ما تخلفه تلك الأفعال في خطوط وسبل الترابط العام ومقاماته. فكان لكل الأفعال على اختلاف مستوياتها من حيث النوايا والإرادة والقوة الفعلية وحجم

(١) سورة الرعد / اية ١٧.

الفعل المادي وما يصاحبه من تلازمات وملابسات وما كان منه ما يوافق الطريق المفتوح بالعطاء الإلهي المستهدف للغاية وما كان متوقفا انحرافاً عن تلك الغاية، فكان لكل فعل قيمته من ذلك. وكان تمام ذلك أن يبين الحق تعالى ويصنف الأفعال من عمق الأثر وضحالته وعدم أثريته في الدائرة.

وعلى ذلك فقد أعطى الحق تعالى موازين لكل أفعال البشر وقيمها على أساس أثرها لا على أساس حجمها، وقد رتب نظام الأفعال على أساس ذلك، ولهذا السبب نرى بعض الأفعال التي ليست لها قيمة كبيرة ظاهراً حسب المقاييس والاعتبارات العقلية نراها تحظى باستحباب الهي عالي، وعلى العكس فان بعض الأفعال الكبرى ظاهراً لم تحظَ بتلك القيمة، الأمر الذي أدى إلى إرباك في المقاييس المعتبرة عقلاً، والتي كون العقل نظامه المادي على أساسها بل هكذا هي البسائط العقلية، فأوجد الحق تعالى وهو مبتدع هذا النظام مقاييس أخرى بعضها غريبة عن اعتبارات العقل. مما اضطر العقل إلى البحث عن مبررات لذلك.

وكما ذكرنا من اختلاف المقاييس الإلهية عن المقاييس البشرية والنابع من الاختلاف الكمالي حيث صدور المقاييس الإلهية من الكمال المطلق والمقاييس البشرية صادرة عن النقص المطلق

أدى هذا الاختلاف إلى أن يوجب الحق على النظام التنزل إلى المستوى البشري بالأسلوب الرافع لذلك المستوى، ومنه بيان بعض الموازين والمقاييس الحقة أو التي حوت على بعض مستويات الإرادة الإلهية المنزّلة من الإرادة العليا للغاية. فوضع الحق تعالى موازين الأفعال وغيّر النظرة البشرية للموازين بل أحدث تغييراً وتجريداً للموازيين والمقاييس البشرية.

والموازيين الإلهية قائمة على أساس ما يراه الحق تعالى من تخطيط ذلك النظام وغايته، وأما البشر فهم قاصرون عن تلك الرؤية إنما يرون بتلك الأسس الموجودة في عقولهم وهي ليست دائمة العطاء إنما هي أسس مرحلية تعطي حين مرحلتها، ولكل مرحلة موازينها، وتوضيح ذلك ما سمعنا من قضية موسى عليه السلام والعبد الصالح عليه السلام وهي قضية اختلاف الموازين بين هؤلاء العظيمين وكلاهما على حق إنما يرى موسى عليه السلام بالموازين التي هو مقيد بها وهي موازين عقلية شرعية وما رآه العبد الصالح عليه السلام فهي موازين في مرتبة أخرى. فيظهر منه كل مرتبة مقيدة بمقاييسها وموازينها والتي تختلف عن غيرها، ولا يهمنا الآن ما هي الموازين الأصلح والأكمل بالنظرة الإلهية الواقعية بل ما يهمنا هو الموازين المطالبون بها ألان والتي يجب أن نبني أفعالنا على أساسها وما هو

ميزان قبول الإعمال من قبل الله تعالى؟ وكيف نرتقي بنفس الفعل مرتبة أعلى في الرضا الإلهي؟.

نقول: إن مستوى قبول الفعل يعتمد على مستوى تأثير الفعل في دائرة الوجود من جهة التكامل والتكميل ماديا ومعنويا، وان كان المعنى مؤثراً في المادة ولا عكس. وتأثر دائرة الوجود وانفعالها بالنوايا والتي هي حقائق الأفعال وليس بحجم الأفعال أو سعتها، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾[1] فمهما كانت كمية ما تقدمونه لله من لحوم ودماء وغيرها كبيرة فليست هي المنظور إنما المنظور هو الجانب القلبي أو المعنوي الذي وراء هذه المادة، وعلة ذلك إن النظام هو معنى يحرك عالم المادة كما إن الفكرة تحرك الإنسان. فيتضح من ذلك إن الموازين التي يعتمدها الحق تعالى والتي ينبغي أن نعتمدها نحن كخلفاء لله نروم التخلق بأخلاقه أو كعبيد نبتغي مرضاته هي الموازين المعنوية.

التطبيق: بما إن تأثير الأفعال يكون على أساس نواياها وكذلك قبولها، جعل الحق تعالى الميزان لقبول الأعمال هي النية، والنية تشمل حقيقة الفعل ومستواه فيتصاعد مستوى الفعل ويتسافل

(١) سورة الحج / اية ٣٧.

بمستوى نيته. وعلى قدر خلوص النية وصفائها يكون نفاذها وتأثيرها في الوجود، حيث إن النظام العام مؤسس على أساس الخير والطهارة أصبح لكل فعل طاهر الإذن التكويني للنفاذ إلى ذلك النظام والبناء فيه، وكلما كانت نية العبد في الفعل اخلص واطهر كان لها التأثير الأعمق والأدوم وكلما كانت نية الفعل اقل طهارة توقف تأثيره في مستوى محدود ، وان كانت النوايا سيئة واعني بالسيئة ليس لله فيها ذكر فتلك أفعال مقطوعة لا ترقى إلى التأثير ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾[1] لأننا قلنا إن النية هي حقيقة الفعل والفعل الذي يخلو من نية لله تعالى ليس له وجود لكي يؤثر لان بقاءه ببقاء جوهره وذهابه بذهاب جوهره، والأفعال المأذونة بالنفاذ للنظام يجب أن تشابه حقيقتها جوهر النظام وهي الطهارة وان خالف الفعل في حقيقته جوهر النظام فليس له النفاذ إلى النظام، نعم الأفعال المكونة من نوايا سيئة لها اثر لكن من جهة أخرى قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾[2] أي إن لها تأثيراً سيئاً على صاحبها فقط أو من أراد ذلك. أما بالنسبة لأثرها في النظام كأثر معنوي فهو ممنوع ؛ لأن ما أسس على الطهارة لا يقبل إلا الطهارة.

(١) سورة الرعد / اية ١٧.

(٢) سورة فاطر / اية ٤٣.

لذلك اوجب الله تعالى النية في كل فعل أريد منه التقرب إلى الله تعالى سواء كان عبادياً أو غير عبادي، وأسقط الأفعال التي خلت من ذلك ولو كانت عبادية، ومثالها العبادات المبنية على نية الرياء مهما بلغت من الكثيرة فإنها ساقطة عن الاعتبار وليس لصاحبها إلا التعب وذلك لسوء نيته.

ومن عقبات الوصول إلى نية طاهرة وخالصة لله تعالى هو عدم توحيد الإرادة وتشتتها في جوانب عديدة من دنيا وأهواء ومصالح خاصة وغيرها، فكل ذلك له أثر في تضعيف الجانب الإلهي في نية الفعل وتلويث ذلك الفعل بتلويث أساسه. عندئذ لا يرقى هذا الفعل إلى التأثير على وجه الخصوص، فيحتاج الإنسان إلى التصاعد المستمر في مستوى نيته وذلك بتجريدها حين الفعل من المصالح الدنية والمفسدات النفسية حتى يصل بها إلى ما يريده الحق تعالى منه وهو أن يكون فعله خالصاً لله تعالى، بل إن رأى أن هنالك ذرة إشراك في فعله توقف إلى أن يجرده من ذلك الشرك بالتسقيط؛ إذ لا قابلية لأي شيء أن يصمد أمام الله تعالى؛ فبالمقارنة يسقط كل ما دونه، فيجرد نيته ثم يقبل على الفعل بل بعض الأفعال المستحبة إن كانت نيته شائبة ولا يستطيع أن يطهرها ويخلصها لله تعالى فليترك الفعل

فيكون تركه لله تعالى بنيه خالصة إن لم تكن هنالك مفسدة في قناعته بترك الفعل.

ويجب أن يستمر الإنسان بمسألة التطهير ولا يتوقف عند حد معين فان موارد الإشراك كثيرة جداً ومن اليقين إن الله تعالى سيوفق العبد إن رأى ذلك من نيته لأن نية التطهير هي التطهير وتؤدي إلى تطهير.

واعلم، إن الفعل المبني على نية الله تعالى سواء نية تقرب لله أو نية العمل له تعالى لا يتوقف عند القبول والتأثير بل له من مراتب النمو والانتشار ما لا يعلمها إلا الله تعالى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما كان لله ينمو**» وينمو تارة في النظام ومفرداته ومن اخصها البشر فيؤثر فيهم وفي نواياهم، وعندما نقول يؤثر أي يؤثر تطهيراً؛ لان النية الطاهرة تكون لها قابلية التطهير فيكون لهذا الفعل نمواً في قلوب البشر على نحو التطهير أو داعيته، لذلك قال الأمير عليه السلام: «**ما يخرج من القلب يصل إلى القلب**» أي إذا كان الصادر مجرداً من تأثيرات النفس والناس إنما هو قلبي خالص فسوف يجد طريقه إلى قلوب الخلق.

وتارة ينمو الفعل طاهر النية في نفس الفاعل فيفتح له أبواباً

جديدة لطهارة نيته أي مراتب أدق من تلك الطهارة أو يفتح أبواب خدمة الحق عن طريق نظامه.

أما بالنسبة للأفعال المبنية على سوء النية وطلب غير الله تعالى في ذلك فان هذه الأفعال ليس لها من الأثر ما يذكر إنما هي حسرات على أهلها وان جلبت لهم بعض حطام الدنيا لكنها ستكون سببا داعياً لنزول مستواهم وتسافل نواياهم.

وكما إن النية الصالحة تكون استعداداً لنزول مرتبة جديدة من عالم الطهارة وكذلك تكون النية الفاسدة داعية لنزول مستوى النية وتردّيها، لذلك قلنا إن لم يستطع أن يوجد الإنسان شيئاً من الطهارة في نية فعله فالأولى الترك؛ لأن الترك لله خير من العمل لغير الله تعالى.

قاعدة المحو

المدرك: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[1].

المفهوم: قلنا إن للأفعال أثراً في الإنسان فمنها ما يقتصر أثره عليه ومنها ما يتعداه إلى الخارج. وذكرنا فيما سبق إن الأفعال هي النوايا.

ومما أوجده الله تعالى من التأثير في عالم الأفعال هو تأثير الأفعال على بعضها. فمن الأفعال ما تكون له القدرة والهيمنة على غيره من الأفعال وذلك يعود إلى أساسه؛ لان كل هيمنة في الأرض أو في السماء لكل مخلوق مستمدة من اسمه المهيمن، فكلما قرب الفعل من هذه الصفة اكتسب الهيمنة والسيطرة على ما دونه من الأفعال وبما إن النظام العام ونظام الأفعال خصوصاً مؤسس على أساس الخير يكون الفعل الخير مؤثراً في السيئ ولا عكس، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا

(١) سورة هود / اية ١١٤.

﴿يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾[1]. هذا ليس استنباط عقلي ربما يصح أو يخطأ إنما هي قاعدة أثبتها في نظامه وبينها في كتابه، وليس موضوع قاعدتنا تولد الحسنات إنما هيمنة الحسنات على السيئات من خلال السلطان الذي وهبه الله تعالى للحسنات. فمدرك القاعدة لا يحتاج كثيراً من البيان إنما أراد الحق تعالى من كلامه أن يبين لنا إن هنالك قواعد في الأفعال كما إن هنالك قواعد في الصفات أو المعتقدات. منها ما أعطاه الحق تعالى بسعة رحمته من القابلية للحسنة على محو وإذهاب السيئة وهو يعود لما أركز الحق تعالى من صفة الزوال في الجانب الباطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[2] أي ليس الزوال عرضاً يعرض على الباطل وإنما هو من خصائصه الذاتية، فكل ما يأتي من الباطل وكل ما يؤدي إليه يحمل تلك الخاصية وهي الزوال. وكذلك فان الأعمال الصالحة لها خاصية البقاء في الدائرة وذلك لامتدادها للخير المطلق، فأخذت صفة البقاء من أصلها لهذا أصبحت من خصائص الحسنات هي الهيمنة ومحو السيئات.

(١) سورة الانعام / اية ١٦٠.
(٢) سورة الاسراء / اية ٨١.

التطبيق: إن الحق تعالى عندما تفضل على عباده بإنزال رحمة محو السيئات بالحسنات كانت الإرادة من ذلك هو فتح باب من أبواب تسقيط التبعات المُبعدة عنه سبحانه والمعوقة للمسير في طريقه وهو الإسلام والتدرج بدرجاته. إذ من المعلوم أن الأفعال السيئة تترك أثراً في قلب الإنسان من الصعب إزالته وكذلك تُهيأ الإنسان للنزول إلى مادون ذلك من الأفعال وتعطيه القابلية للاكتساب من الجهة السفلى وتكسر لديه رهبة الإقدام على السيئات. فجعل الحق تعالى هذه القاعدة والتزم بها وبينها للعباد.

أما كيفية إزالة الحسنة للسيئة فنراه من وجوه:

الوجه الأول: إن الأعمال الحسنة تبعد السيئات عن الإنسان وتذهب بها إلى مكان بعيد، والسيئات كلُّ ما يسوء الإنسان من المصائب والبلايا ونقص الأرزاق ونحوه. فيكون ما يأتي به المرء من الحسنات مبعدة لهذه السيئات عن ساحته وشافعة له في محوها من لوحه.

الوجه الثاني: هو في كون الأعمال الحسنة مبعدة للأعمال السيئة، وبيان ذلك: إن النفس موجودة في كل مستويات الإنسان ـ وان اختلفت قوة وضعفاً. وعليه تكون السيئات قريبة دائماً من

الإنسان لوجود النفس ودوافعها وإيحاءاتها إلى الإنسان بفعل السوء ولوجود الدنيا ومغرياتها والتزيين الشيطاني فيكون الإنسان بتماس دائم مع أسباب السيئات ومولداتها، فيكون عمل الحسنات مبعداً لهذه السيئات عن قلب الإنسان ومبعداً للرغبة فيها، في هذا المستوى فقط لا في جميع المستويات، نعم لكل مستوى حسناته وسيئاته.

الوجه الثالث: إن الحسنات من الإعمال لها القابلية على محو السيئات التي وقعت من الإنسان فعلاً، فعندما يأتي بالحسنة تمحو السيئة التي ارتكبها قبل الحسنة، قال الرسول ﷺ: «**واتبع الحسنة السيئة تمحوها**»[1]. وهذا كما قلنا في البدء مما أعطاه الله تعالى للحسنات من خصائص. فتكون الحسنة اللاحقة للسيئة غافرة لها.

الوجه الرابع: إن الحسنات يذهبن أثر السيئات. وذلك إن السيئة إذا ارتُكبت خلّفت أثراً معنوياً وهذا الأثر يكون حاجباً عن التقدم في سلم الكمال، وبعض مراتب غفران الذنب لا يشمل إزالة أثره المعنوي بل إقالة المذنب من العقاب المادي المترتب عليه. لكن بعض الأعمال الحسنة لها من القابلية لإزالة الأثر

(١) سنن الترمذي.

المعنوي للذنب وهي ما تسمى في علم الإيمان بأفعال التطهير أي من خصائصها تطهير القلب من أثر الذنب.

الوجه الخامس: إن الحسنات يذهبن أساس السيئات. وبيان ذلك إن الإنسان إذا توجه إلى شيء قويت إرادته إليه وضعفت عن الجانب المقابل. وكذلك من نعم الله تعالى إن القيام بالحسنات يكون مضعفاً لإرادة السيئات ومقوياً لإرادة الحسنات لأنه حسب النظام من قام بشيء استحق الذي يليه. فيكون البعد عن الشوق للسيئات وإرادتها بتضعيف وإذهاب الحسنات لإرادة السيئات.

الوجه السادس: أي يذهبن الحسنات بالأمراض النفسية من الرياء والتكبر وحب الذات وغيرها فتكون هذه الحسنات دافعاً لإزالة السيئات الصفاتية الموجودة في مكمن الإنسان؛ فالأفعال الحسنة ممحصة لما في صدر الإنسان فتُذهب بالسيئات من صدره وتبقي الحسنات.

فإذا عرفنا ذلك يكون التطبيق منه، على الإنسان الذي يسعى إلى الرضوان أن لا يهمل كل تقصير أو ذنب أو خطيئة بما أن الله تعالى فتح له هذا الباب فيجب عليه أن لا يترك له ذنباً في يومه

بمعنى أن يراقب نفسه كل يوم باستمرار فان صدرت منه سيئة أردفها بفعل حسن أو أكثر لإزالة تلك السيئة وإزالة آثارها بحيث ينتهي يومه وما من سيئة إلا وأعقبها حسنة عندئذ يكون يومه له لا عليه. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس شيء اشد طلباً وأسرع دركاً للخطيئة من الحسنة، أما إنها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند صاحبه فتحطه وتسقطه وتذهب به بعد إثباته**»[1].

(١) مجمع البيان / ج ٥.

قاعدة التبديل

المدرك: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

المفهوم: إن ما ذكرناه في قاعدة المحو يبين جانباً من جوانب الرحمة الإلهية بمرتبة من مراتبها المتصورة بإزالة ومحو الحسنة للسيئة في سجل الإثبات المشتمل على الكتاب والحفظة والجوارح وغيرها. أما بالنسبة لقاعدة التبديل. فيتبين من خلالها شيء من عمق الرحمة الإلهية وخطوة من صفة الكرم الإلهي، فلا تقتصر على الغفران وإزالة الأثر إنما تتعداه إلى تبدل السيئات إلى حسنات. وبغض النظر عن المقدمات المؤدية إلى تلك العملية فهو باب فُتح برحمة الله تعالى للمبادلة فمن خلال ولوجه يستطيع الإنسان أن يبدل سيئاته وفسوقه وتعديه الحدود الإلهية يبدلها إلى حسنات وثواب ورصيد أخروي، يبدل السخط إلى رضوان!. فهو مجال للتدارك والتغيير. أي إن الذنب مهما كان عميقاً وقديماً،

(١) سورة الفرقان / اية ٧٠.

بفعلٍ ما يتغير هذا الذنب الدارس إلى حسنة وتأخذ مجراها في نظام الإنسان وتعطي ما تعطي الحسنات. فهذه القاعدة تعطي الإنسان السلطة للتحكم في ما سلف من أفعاله. وهذا من غرائب الكرم الإلهي إذ جعل به القدرة على تغيير الماضي، فالذنب الذي ارتكبه الإنسان المفروض اخذ قراره وأعطى ما تعطي الذنوب أما بلحظة ما يتغير هذا الفعل القديم إلى ضده ويعطي ما تعطي أضداده وكأنه لم يكن. فهذا من غرائب مننه سبحانه.

التطبيق: من المقدمات التي جعلها الحق تعالى لقضية التبديل، هي التوبة والإيمان والعمل الصالح حسب الآية وان كانت هناك أسباب أخرى تؤدي كذلك إلى التبديل لكن ما يهمنا الآن عطاء الآية. وهذه المقدمات على التفصيل هي:

المقدمة الأولى: التوبة: وكما هي معرفة أركانها ترك السوء والندم عليه وعدم العود إليه فيكون بذلك وضع الإنسان القدم الأولى وهي قطع استمرار الذنب أو قطع امتداده المستقبلي.

المقدمة الثانية: هي الإيمان: والإيمان هنا ليس المقصود منه الإيمان العام أي الإيمان بالله والرسول والكتاب، وإنما المقصود من الإيمان هو الثاني وهو إيمان ما بعد التوبة لان الأول حاصل،

والذي تقتضي التوبة الدخول فيه والتزام مفرداته. أي إنه اعتقد بملازمات التوبة. لان؛ إيمان ما قبل التوبة هو مستوى ضعيف من الإيمان لا يصمد أمام المغريات أو البلايا أو غيرها فالتوبة مع البقاء على المستوى الأول من الإيمان يكون سبباً سهلاً لخرق التوبة والعودة إلى الذنب وهذا ما يشكو منه الكثير من الناس. أما الحصانة من العودة أي انتهاء الضغط النفسي المؤدي إلى العودة فتكون بالمستوى الثاني من الإيمان المتنزل من التغيير الذي أحدثه التائب.

المقدمة الثالثة: وهي العمل الصالح. اعلم: إن مكانة العمل الصالح من هذه المسألة هي منزلة القفل أي قفل باب المستوى القديم الداعي إلى ملابسة ذلك الذنب. فالعمل الصالح يكون به الإنسان قد دخل مرتبة جديدة من مراتب الإيمان معايشةً دون الرجوع إلى المرتبة السابقة. هنالك يستحق بكرم وجهه تعالى أن يغلق الحق باب ذلك الذنب فيبدله بحسنة تكون مساعدة له في مستواه الجديد.

وهذا التبديل يشمل كل المعاصي إذ جيء بمقدماتها. عندئذ ينبغي للفرد الذي بدل الله سيئاته حسنات أن يتيقن من هذا التبديل وان لا يحتجب بالنظر إلى تلك السيئات بل تعد رؤيتها بعد تبديلها

تكذيب لله تعالى في ما قاله، وسوء ظن بما التزمه، وهو الذي اخذ على نفسه أن من جاء بهذه المقدمات سيبدل سيئاته حسنات، فينبغي أن لا يشكك ولا يتردد إنما الله فعال لما يريد ولا يبدل القول لديه وهو الغفور الرحيم.

والتبديل لا يقتصر على إزالة السيئة فحسب بل وإزالة كل جوانبها ومنها العلم بتلك السيئة لمن اطلع عليها أي إن الله تعالى سيستر تلك السيئة المُبدّلة فلا يعلم إنها كانت سيئة وما هي تلك السيئة إلا الله تعالى وذلك المسيء التائب، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أوحى الله عز وجل إلى داوود النبي عليه السلام: يا داوود إن عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيى مني عند ذكره، غفرت له وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا ارحم الراحمين**»[1] وليس فقط الحفظة بل الخلق كلهم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**. . . . . وأُمِرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأُنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه**»[2]. وكذلك جاء في الأثر (فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب).

(١) ميزان الحكمة / حديث ٢١٨٥.

(٢) ميزان الحكمة / حديث ٢١٨٣.

فيجب على المؤمن أن يعي هذه القاعدة وهذا الباب الذي فتحه الحق تعالى لطفاً بعباده وأنْ يعمل بهذه القاعدة ليرى من خلالها العطاء الإلهي المنصوص وغير المنصوص.

قاعدة التفكر

المدرك: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

المفهوم: إنَّ من الملازمات الذاتية للإنسان والتي ركزها الحق تعالى في تكوينه هي قابلية التفكر، وهذه القوة تمثل أحد العوالم الأربعة التي تكون منها الإنسان. ووجود هذا الجانب حكمته، إن المراد تحقيقه من الإنسان وبلوغه بما أراد الحق تعالى منه لا يتم إلا بوجود هذا الجانب في تكوين الإنسان والذي يوصل الإنسان إلى عالم صدور ذلك الجانب ومنه إلى تكميل جانب آخر من مكونات الإنسان. وقد بين الحق تعالى كيفية تفعيل هذا الجانب والاستفادة منه وتكميل النقص به. وكان البيان الإلهي بأسلوبين:

الأول: هو بلسان الفطرة، فجعل الإنسان يلجأ إلى فكره تلقائياً في كثير من أموره والتي غالباً ما تتركز على الأمور المعاشية والدنيوية فكان بذلك النقص والظلم لجانب الفكر أو العقل.

أما الأسلوب الثاني: فكان هو البيان بلسان القلب والحث على

(١) سورة يونس / اية ٢٤.

الاستفادة منه، وذلك عن طريق الكتاب العزيز والمعصومين عليهم السلام بما تكلموا به من فضل التفكر حتى قال الامام الصادق عليه السلام: «**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**»[1].

وجعل الحق تعالى بعض أبواب الخزائن الإلهية لا تفتح إلا بمفتاح الفكر دون غيره من العبادات، وجعل الاستنزال من عالم المعرفة لا يكون إلا بالفكر. وكما جعل الله تعالى لكل مكون من مكونات الإنسان ما يغذيه ويقويه ويمكنه في عالمه، جعل للفكر ما يمكنه في عالم العقول، وهي الآيات والتي جعل الحق منها الغذاء الأسمى للعقول وجعل المراتب على قدر تحمله من عطائه جل جلاله، فيتدرج بها الإنسان في مراتب أفعاله تعالى وصفاته معرفةً. والتفصيل المشار إليه في مدرك القاعدة هو من الإبانة المشتملة على الفصل بين ما يؤدي إلى إيصال العقل عن طريق الفكر إلى النتائج المتوخاة والطريق لبلوغ تلك النتائج عن طريقه، وكذلك يشتمل على إيجاد مفاصل التفكر في الآيات والتي اندرجت في الآيات ضمن نظام التكوين قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2] أي جعل

(١) ميزان الحكمة / باب التفكر حديث ١٦٢٢١.
(٢) سورة ال عمران / اية ١٩٠.

في ضمن مفاصل الخلق أو مراحله ومراتبه منافذ للفكر، فكان النظام الفكري ضمن أسس التكوين.

والمراد من التفصيل الإلهي للآيات. والآيات هي كل ما خلق الله تعالى.

إن هذا التفصيل هو لأجل المتفكرين لا غير ومن المفترض إن كل إنسان هو متفكر لما اوجد الله تعالى فيه من غريزة الفكر، فيكون البيان والتفصيل هما من رحمة العقول الخاصة وإلا فإن إبهام الآيات لا يضر الله شيئاً.

التطبيق: اعلم إن التفكر عبادة مفروضة لكنها مُضيّعة من قبل العباد على اختلاف دياناتهم ومشاربهم. وليس التفكر مفهوم حث عليه الحق تعالى من أجل الآخرة فحسب! بل إن الله تعالى أسس خطوطاً في نظامه على أساس التفكر ووضع قواعد عقلية في تكوين النظام تتفاعل مع العقول وتوصل العقول إلى غايتها، وكذلك يساهم الفرد في تفكره في البناء والتكميل، فمن تفكر في خدمة نظام الشريعة مثلا فسوف يوفقه الله لأدراك ذلك وتتكون على أساسه خطوات عملية وهي من التكميل الإيماني العالي. فلا يتوهم المرء بأن التفكر أجالت

الفكر في ساحة الأشياء فقط إنما هو من مواضع الإرادة العليا. وان كل العبادات السابقة تصب في مرحلة التفكر ولا ينال هذه المرتبة من العبادات ويتوفق فيها إلا من أتقن العبادات السابقة وإلا فانه سيكون معرضاً لكثرة الخواطر والخيالات أثناء التفكر، قال الإمام علي عليه السلام: «**التفكر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين**»[1] أي الذين خلصت نواياهم وتجردت قلوبهم من شوائب الشرك.

ولان التفكر هو تفريغ القلب أو العقل من كل ما سوى الله تعالى أثناء التفكر فيحدث في حال التفكر في الآيات المُلكية أو الملكوت توحد الإنسان في تلك الفكرة، لكن البقاء في الفكرة يحتاج إلى شيء من المجاهدة والتحمل؛ لأنه ليس تفريغاً ظاهرياً كالعبادات في مراتبها الأولى إنما تفريغ داخلي وهو الأصعب والنتائج أعظم؛ إذ الفكر يوصل إلى نتائج لا يوصل إليها غيره من تعظيم الخالق جل جلاله ومعرفة بعض مواطن إرادته ومعرفة العمل في خدمة نظامه ومعرفة أوليائه ورسله وعدم ظلمهم بالجهل وكذلك عدم ظلم الحق تعالى بالغفلة عن معرفة أياديه من العطاء والبلاء. التفكر هو ما كان بعنوانه العبادي

(١) ميزان الحكمة / باب الفكر حديث ١٦٢١٦.

وليس لأجل تحصيل المعارف والعلوم وإلا فيكون حينئذ لا يقل عن قراءة كتاب إنما التفكر الراجح والمطلوب هو التفكر بنية التقرب لله تعالى والانصياع لأمره عندئذ يكون التفكر بأي شيء مقرب إليه وموصل إلى رضوانه، أما إذا كان بغير ذلك فيكون التفكر وبالاً على صاحبه ومُبعداً عن الله تعالى. نعم يعطي نتائج من سرعة الفهم وتوسيع المدارك لكنه لا يوصل إلى مرتبة المتفكرين بل أحيانا سعة المدارك العقلية مع قوة النفس الأمارة توصل إلى نتائج وخيمة ومؤسفة. وكذلك ينبغي أن يُجنى من الأفكار ومواطنها ما استحبه الله تعالى لنا وأكد عليه في كتابه العزيز، أو ما نبهنا عليه المعصومون عليهم السلام وهي مواطن كثيرة، ومن ذلك ما بين الرسول الأعظم في حديث طويل إذ يقول «... **وقد انزل الله عليّ في هذه الليلة** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ **ثم قال: ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها**». فالمفروض على المتفكر أن لا يجعل من فكره آله لكفره وسبباً لنزول مقامه وبُعداً من عالم النور باستغلال العقل في غير ما خُلق له.

ومن الفوائد المترتبة على التفكر:

أولاً: إن التفكر هو عبارة عن أسلوب لتمتين العلاقة بالحق

تعالى وذلك من خلال ما يكشف الحق لعبده المتفكر بعض المعارف عن صفاته تعالى وأفعاله الداعية لمعرفة الحق تعالى المؤدية للتعلق به سبحانه.

ثانياً: إن التفكر بأي أمر ما يولد إرادة تجاه ذلك الأمر، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من كثُر فكره في المعاصي دعته إليها**»[1] وذلك لما يولد الفكر لمزيد من الإرادة. فكذلك من تفكر بالله تعالى وآياته أُعطي الإرادة لذلك والمنتجة لكل فعل يقرب إلى الله تعالى وليس فقط تعطي دافعاً للتفكر في الجانب الإلهي بل حتى تقوي الجانب العبادي ومن كان يستثقل العبادة فسوف يجد لذة فيها إذ بالفكر يكون القرب القلبي من المُتَفكَر به.

ثالثاً: إن للتفكر أثراً على القلب وما ينزل عليه وما يوصل إلى صفائه من كدورة الآثام وإزالة غبار الغفلة عنه، فبالفكر تنجي القلوب وتفتح حواسها، قال الإمام علي عليه السلام: «**من طالت فكرته حسُنت بصيرته**».

رابعاً: إن التفكر في الجانب الإلهي يؤدي إلى غلبة الجانب الإلهي على الجانب الإنساني المؤدي إلى طمس الصفات النفسية

---

(١) عيون الحكم والمواعظ.

وإزالة الأوهام الاعتقادية الداعي إلى نزول المعارف الربانية، إذ التفكر دعاء لنزول العطاء الإلهي العقلي والمتمثل بالمعارف والعلوم، وليس أن الإنسان يصل بعقله إلى عالم الجبروت ويأخذ المعارف بقوة فكره واستقلالية عقله!! قطعاً لا.

وما للتفكر من أهمية كبرى نرى إن الله تعالى أعطى للمتفكرين وأولي الألباب من الحظوظ ما لم يعطها لغيرهم وأثنى عليهم أكثر من غيرهم، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته**». واعلم، أن ليس من استمرار في رقي الإيمان دون دخول عبادة التفكر؛ لأنها من المراتب الأساسية في سلم العبادة.

قاعدة النسيان

المدرك: قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[1].

المفهوم: قبل أن نبدأ ببيان المفهوم يستحسن أن نلقي شيئاً من الضوء على مسألة نسبة الصفات الإنسانية إلى الحق جل وعلا. فمن المعلوم الذي لا يقبل التبديل أنَّ الحق تعالى ليس كمثله شيء فلا يشابهه أحد من مخلوقاته ولا يصح أن تصفه بصفات المخلوقين وان تشابهت الصفات ظاهراً. وكل ما يطرأ على الخلق من تغيير وتبديل لا يطرأ على الحق تعالى إذ لا سلطة إلا سلطته، وما يطرأ على الخلق بسبب وجود من هو غالب عليه أما الحق تعالى، فليس بعده شيء إنما كل ما في الوجود هو سبحانه وصفاته وأفعاله المتمثلة بالخلق فليس إلا تلك وكلها تحت سلطته. وهذه المقدمة لا يختلف فيها اثنان فالله تعالى ليس كمثله شيء كما وصف نفسه. لكن السؤال هو إن الله تعالى في كتابه العزيز نسب بعض صفات المخلوقين إلى نفسه ولم يتعالَ عنها، منها صفة الرضا والغضب

(١) سورة التوبة /اية ٦٧.

والنسيان والتحنن وغيرها! فكيف نوفق بين ما بينه الحق تعالى عن نفسه بقوله ليس كمثله شيء وبين ما بينه من انه يغضب وينسى ويرضى ويعطف؟!. والجواب على هذا الإشكال من وجوه:

الوجه الأول: وهو الذي اعتمده اغلب علماء الكلام من إن صفات المخلوقين التي نسبها الله تعالى إليه تطابق الصفات لفظاً وتختلف معنى فقوله نسيهم كما في مدرك القاعدة لا بمعنى النسيان الطارئ على البشر وإنما يقصد به الإهمال وهو وجه لا بأس به.

الوجه الثاني: وهو إن الحق تعالى في هذه المواضع التي نسب صفات المخلوق إليه انه تعالى يتكلم بلسان من يلي أمر البشر أي الموكلون على البشر وهم خلق وكّلهم الله بهذه المهمة فلا يتكلم بلسانه وإنما بلسان خلقه من الملائكة الموكلون والأرواح المجردة والأولياء وغيرهم.

الوجه الثالث: التنزل ألمرتبي لمستوى المخاَطب. فلا إدراك ولا اخذ دون تساوي المستوى أو تلاقي المستويين في نقطة واحـدة. والتنزل تنقل من مستوى ما لا يـدرك المخاطب إلى مستوى الإدراك وإلا فلا حجة، ويكون تارة بوجود خارجي وأخرى

بنفس الوجود. ومن هذا التنزل ينتج انتساب تلك الصفات لا بطروئها على الخالق تعالى عن ذلك إنما على مستوى المخلوق الذي خاطب منه الخالق عباده، فتجتمع الصفتان ولا ضير فالأولى بالمقام الحق والثانية بالتنزيل الوهمي.

والذي يهمنا بعد هذه المقدمة هو الأثر الفعلي لهذا النسيان والأسباب الداعية له.

فنقول: إن هذه القاعدة هي قاعدة تبادلية قائمة على ظل التوحيد وجوهرها إن من ينسَ الحق تعالى بأي صورة فقد عرّض نفسه لنسيان الحق إليه. والنسيان معناه كما ذكره أهل اللغة هو ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه، وإما غفلة، وإما عن قصد حتى يُحذف عن القلب ذكره. أما الضرب الأول من النسيان فهو مرفوع ولا يؤخذ الإنسان به، لكن محل الكلام هو الثالث والثاني إن كانت مقدماته عمديه لان الأول خارج عن سلطة الإنسان أنما يكون بتأثير خارجي فتارة يكون المؤثر والمسبب في النسيان هو الله سبحانه وتعالى وكثيراً ما يُنسي عبده بعض الأشياء أو الأمور التي يرى في نسيانها مصلحة لعبده فيمسحها الله من ساحة قلبه قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ

﴿مِثۡلِهَآۗ﴾[1] أي نسلبها من القلوب. وتارة ينسب إلى الشيطان ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾[2] والناس على العموم ينسبون كل نسيانٍ إلى الشيطان جهلاً منهم؛ لأنهم يرون إن النسيان هو من ضروب المفاسد والشرور؛ لان فيه فوات منفعة! علماً إن ما يحصل من النسيان المنتسب إلى الشيطان قليل جداً. وان اغلب موارد النسيان هي إلهية لأجل دفع مفاسد يجهلها الإنسان فيمُنّ الله تعالى على عبده بالنسيان والغفلة عن تلك الأمور.

التطبيق: هناك موارد كثيرة تنسي الإنسان الجانب الإلهي او بعض مفرداته وتسدل عليه شيء من حجب الغفلة وبالتالي تساهم في إبعاده عن جناب الحق وجهة النور، ومن هذه الموارد:

أولاً: عدم الاهتمام بالجانب الإلهي وذلك لاستقرار النفوس على الجانب الدنيوي والاطمئنان بها حتى أخذت جُل أو كل ما لديهم من اهتمام. فأصبح مطلوبهم الأول هي الحظوظ الدنيوية وحُملت على أقصى درجات الجد، أما الجانب الإلهي فكان لهؤلاء جانب ثانوي اعتيادي صوري وليس حقيقياً عندئذ دب إلى قلوبهم النسيان والغفلة عن كل ما له صلة بذلك الجانب، قال

(١) سورة البقرة / اية ١٠٦.

(٢) سورة الكهف / اية ٦٣.

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾[1].

ثانياً: مطاوعة الشيطان والانجرار إلى مخططاته والانصياع إلى تزينه يوصل إلى الغفلة والنسيان عن جناب الحق تعالى إذ على قدر الاهتمام يكون الذكر والتذكر فسلوك طريق الشيطان موصل إلى نسيان طريق الحق بالضرورة قال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾[2]، بإرادتهم الجاذبة للشيطان وإلا فليس للشيطان تلك السلطة وهي أن ينسيَهم ذكر الله دون وجود استعداد من قِبل الإنسان لذلك. فالنسيان عائد إلى الاستحواذ والاستحواذ عائد إلى مطاوعة الشيطان.

ثالثاً: عدم وجود المحاسبة والاستغفار؛ لان المحاسبة داعية للتذكر واللجوء إلى الحق تعالى عن طريق الشكر أو الاستغفار وهما ما تؤول إليه المحاسبة عادة. فإهمال المرء لمحاسبة نفسه وعدم معرفة ما صدر منه من سيئات أو حسنات فان ذلك يوصل إلى الغفلة والنسيان قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾[3].

(١) سورة الأعراف / اية ٥١.
(٢) سورة المجادلة / اية ١٩.
(٣) سورة الكهف / اية ٥٧.

والمعنى إن فعلهم من الظلم والإعراض والتغافل عن الذنوب كان استعداداً لنزول الغفلة الكبرى المطبقة والتي شملت وأغلقت كل مسامعهم. وبالتالي فلن يهتدوا أبدا. لان الهداية تحتاج إلى فهم وقناعة واطمئنان وكلها أمور قلبية والقلب مقفل بل الهداية تحتاج سمع ووعي وقد أغلق الله طريق السمع فليس من هداية أبدا.

رابعاً: عدم الوعي ألاعتقادي أو الفعلي لما يفتح الحق تعالى لعبده، والإدبار عن ذلك أو التهاون به يؤدي إلى الغفلة والنسيان فإن المبادرة لتطبيق الأفعال الإيمانية والتعجيل بها سببٌ كبيرٌ لإزالة حجب الغفلة والنسيان. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ﴾[1].

خامساً: الانغماس بالملذات النفسية والحظوظ الدنيوية والالتفات التام إليها المؤدي تلقائياً إلى نسيان الآخرة والغفلة عن متطلباتها وموجبات وصولها قال تعالى:

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2].

سادساً: عدم الالتفات إلى الآيات الإلهية والتفاعل معها عن

(١) سورة الأعراف / اية ١٦٥.

(٢) سورة السجدة / اية ١٤.

طريق التفكر في الآيات الداعية لذلك والتوحيد والتحميد عن طريق الآيات المؤدية إلى ذلك، وكذلك التعظيم والتسبيح لله عن طريق الآيات التي جعلها الله دافعة لذلك، فعدم الالتفات إلى الآيات الإلهية وإعطائها حقوقها من التفكر والإنابة والتنزيه والتسبيح وغيرها هو نسيان وغفلة للموارد الحقة ولا يوصل إلا إلى ما هو أدهى وأمر قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1].

سابعاً: ومن الموارد المنسية الإنسان للجانب الإلهي هو الخوض في الباطل من حديث الدنيا والاستهزاء بالعباد والسخرية من المؤمنين وغيرها فان كل ذلك يوجب الغفلة ويبعد القلب عن الذكر والتذكر قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[2] لأنهم انشغلوا بذكر الناس وأغفلوا ذكر الله تعالى فقربوا من الناس وبعدوا عن الله تعالى. فهذه بعض موارد نسيان الإنسان لربه. وبالتالي فإن الله تعالى حسب القاعدة جعل كل من غفل عنه ونسيه جعله عرضة

(١) سورة طه / ١٢٥-١٢٦.

(٢) سورة المؤمنون / اية ١٠٩-١١٠.

للنسيان الإلهي أي جعله منسياً في إرادة الحق للخير. ومن أوجه النسيان الإلهي للعبد هي:

أولاً: إهمال الله تعالى للعبد الناسي وإبقاؤه حسب مرتبته السافلة؛ إذ ليس من ذكر ألهى لذلك العبد يرفعه عن تلك المرتبة السافلة فيكون مهملاً في تلك الدرجة، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[1].

ثانياً: أن من ضمن النسيان الإلهي للعبد المقصّر. هو انه ينسيه الله تعالى نفسه فلا يلتفت إلى مصالحها بل لا يدرك مصالحها من مفاسدها فينسى نفسه بشواغل حاجبة عن ذلك فيتردى في رجس الفسوق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2]. وهي نتيجة حتمية إن من ينسَ نفسه من الابتعاد عن الفسوق وينسَ الاهتمام بها من حيث التطهير والرقي فليس بواصل إلا إلى مرتبة الفسق، بالإهمال الناشئ من النسيان.

ثالثاً: يتمثل النسيان الإلهي للعبد من رحمة الله تعالى يوم القيامة. فلا تدركه الرحمة بل ولا يذكر من أي جهة عليا لا بالشفاعة

---

(١) سورة الجاثية / اية ٣٤.

(٢) سورة الحشر / اية ١٩.

ولا بالاستغفار فيكون مصيره الخذلان والخسران، قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾[1].

رابعاً: من النسيان الإلهي هو الابتعاد عن الالتفات إلى الجانب الحق. وذلك بإزالة الموانع عن تحقيق الرغبات ومتع الحياة فيكون ذلك سبباً أخراً للابتعاد عن الذكر وتذكر الجانب الإلهي، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورَۢا﴾[2].

خامساً: من ذلك إغلاق البصيرة أي إغلاق منافذ عالم الروح وقطع الاتصال به وعدم نزول أي من فيض الحق تعالى فيمسي الفرد مقطوع الصلة بعالم النور ما يؤدي به إلى العمى الكلي حيث لا يبصر من الحق شيئاً، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾[3]. ولا تنحصر أوجه نسيان الله تعالى لمن ينساه بما ذكرنا، وعلى قدر نسيان العبد لربه يستحق أن ينسى.

(وله الفضل والحمد أن فتح لنا أبواب معرفة مرضاته).

تم بحول الله وقوته

في الثامن والعشرون من شهر الصيام والعطاء

سنة ١٤٢٩- الموافق ٢٠٠٨/٩/٢٨

---

(١) سورة الأعراف / اية ٥١.

(٢) سورة الفرقان / اية ١٨.

(٣) سورة طه / اية ١٢٥.

المصادر

١ - القرآن الكريم

٢ - مفردات الفاظ القرآن للراغب الاصفهاني

٣ - ميزان الحكمة للريشهري

٤ - كتب أدعية

محتويات الكتاب

هوية الكتاب ٢
المقدمة ٥
تمهيد ٩
قاعدة الذكر ١٣
قاعدة التغيير ١٨
قاعدة اليُسر ٢٤
قاعدة التوكل ٢٨
قاعدة النصر ٣٤
قاعدة الدعاء ٤٣
قاعدة التكليف ٥٢
قاعدة الشكر ٥٨
قاعدة التقييض ٦٧
قاعدة المحبة ٧٣
قاعدة الفرقان ٨٤
قاعدة البِر ٩٢
قاعدة العهد ٩٨

قاعدة التمييز ١٠٥
قاعدة الجهاد ١١٥
قاعدة الظن ١٢٧
قاعدة البقاء والنماء ١٣٦
قاعدة المحو ١٤٤
قاعدة التبديل ١٥٠
قاعدة التفكر ١٥٥
قاعدة النسيان ١٦٢
المصـادر ١٧١
محتويات الكتاب ١٧٣